

زنبقة الغور

رواية اجتماعية متتابعة

بقلم

الرجائي

ملخص ما نشر سابقاً

مریم ابنة الراحلة سارة من الراحين ايلياس البلاذ حريت من دير الايتام في الناصرة لما فاضت من الاضطهاد ولبأت الى القدس جبرائيل مبارك فوضها تحت رعايته وهو صديق قديم لامها وادخلها بيت اخيه جرجي مبارك للخدمة . وهناك هام بها عارف مبارك ابن صاحب المنزل فطفاها وودها بالزينة . وقدم المنزل ابن عمه ايوب مبارك خيفاً فاعجب بحسن مریم فقصده غرفتها ليلا ليطارحها الغرام فغابا عارف وفضل غيرة وعرب . فانجست مریم بالجرمة واعترفت وهي في السجن بما جرى للقدس جبرائيل فافقدها بنفوذ وسار بها تاركاً دهره الى طليقة ليهتم صارها . وهناك اقام واباها في بيت منفرد عند الحمامات المعدنية على مقربة من المدينة وبها نال واقام لها خادمة اسمها هيلانة كانت غاوية فهداها واحسن اليها ولكنها لم تصدقه التوبة . فلما ولدت مریم سرقت هيلانة طفلها ليلا باهواذ امها الشقية واحفنه عندها . واشاعت ان القدس جبرائيل رعى الطفل في البهينة . وبلغ الطير مریم تنقست عليه ولكنه اوضح لها ما يعرفه من حقيقة الامر . الا انها كرمت الميشت معه فغافلته وحريت الى فرنسا مع سائحة افراسية استأجرتها لتعلم ابنها العربية . وراها في الباخرة ضيبت سراد فقال اليها وزاوها بعد ثلثي منزل سبقتها بباريز . . . ورائها مزاراً يطوف بها ياريس وبريها ملاهيها وبذيقها من ثمار بريتها الحلو والمز والفاخر والمكتون وودها بالسعي سيق سبيلها خيراً لتدين مركزها . ثم علق بها ابن سيدتها الشاب فتبرمت معه وخشيت سيدتها سوء العاقبة فابتاعته لها جوار سفر الى وطنها . ولكن

سرم احببت البقاء في باريس فعاودت من محطة القطار نقاش عن مدينتها بحبيب مراد في التزل
 . فوجدت انه قد سائر ولم يترك لها خبراً . فراحت تسعى للجد لها وتليق في احد المزارع
 فالتفت لما ان ترقص في احد ما مدة وجيزة ثم أقفل المسرح فحدث في وجهها طريق الارتفاق
 فباعت آخر ما عندها من الحلوى وسافرت الى مصر . وفي اثناء ذلك كان النفس جبرائيل قد
 وجد ولدها المسروق وعافى بفنائه عنها . اما هي فظهورت على مسرح الكازينو في مصر بعد
 ان جاءته تطلب فيه عملاً فالتفت تعة في عيني الحاج بحبيبه المدين احد صاحبني ذلك الملهي فسمى
 في اظهارها واشهرها رغبة في الوصول اليها ولكنها خافته وصدته . وقد كان رقصها الجديد
 مدعاة الى انجذاب الناس وسبب لنجاح الكازينو وغنى اصحابه فطار صيتها وتراكت الملعنة على
 اكتساب رضاها وامام بها الكثيرون فكانت تصدمهم ولم يخفض ودعا سوى انشاع مصر .
 ولا أيس بحبيبه المدين من التقرب منها سافر الى سوريا في محطة الصيف ومرت بالاسكندرية فلم
 لا مكان في الناصرة حديث نشأتها وقصتها في بيت مبارك وهر بها الى طابره وولادتها فاد الى
 مصر يسعى في اسقاطها مرة

تابع ما قبله

وبعد اسبوع جاءها يقول - البشري ! لقد امر افندينا ان تعالي امامه
 في قصر القبة . وهذا شرف لم تنله راقصة قبلك . لا تشكريني . فاستمر
 الساعي بذلك . ولا الفضل لي . انما نحن نسو لسرورك . ونشاركك ايضا
 في ذا الشرف وذا الاكرام .

رقت غصن البان في قصر القبة امام سمو الخديوي فاشجبه جداً رقصها
 وائتى عليها . وجعل اعضاء الاسرة الخديوية واعيان القاهرة يعزونها بعد
 ذلك لترقص في بيوتهم . فمرها القوز وطمحت نفسها الى المزيد فيه . ومع
 انها ادركت ان هؤلاء الاعيان يعزونها كراقصة لا كسيدة من اشراف
 نسائهم فظلت طامحة شافنة ثابتة في ظننها بل في وهما انها لا بد ان تنال

منزلة سامية في الهيئة الاجتماعية . وكانت غصن البان تسر لنفسها ان رغبها الشريفة انما هي شريفة ينبغي ان يحترمها الناس .

ولما جاءها ذات يوم دعوة الى البالو المديونية من السر تشريفات لم يخطر في بالها ان هذه ايضا من مكارم الحاج محيي الدين بل من دسائسه . بل ظنت ان آملها بدأت تحقق وان ذلك من طلائع ما تستوجبه منزلتها

حضرت غصن البان البالو تستصحب صديقها الشاعر مصباح افندي .

فالتفت هناك بصاحب الكازينو : فتبأء سلم عليها وبهشها ويلاطفها

- نورت القصر ، يا غصن البان ، يا محجة انظار الناس يا - .

- حسبك من هذا يا سيدي محيي الدين .

- كلمة اقولها لك فمشت واياه الى ردهة النخيل وجلسا على ديوان

محفوف بأنواع الازهار والنباتات . وتجوم السماء تبعد من سقف الزجاج

كالعصفور والاقحوان في سهول لبنان .

- فضلك يا غصن البان على الكازينو عسى . وقد اصبحت ذات منزلة

عالية . لا تقاطعيني ولا تعذري وتتملي حسب عادتك . البيت الذي

انت فيه لا يليق بك فالادارة تعد لك بيتاً مفروشاً في شارع قصر النيل

وترجوئك ان تقبلي هديتها فتقيمين فيه ما زلت في القاهرة .

فدهشت غصن البان واغتمت جداً ولم تفه بكلمة جواباً

- ما بالك ؟ أترفضين هدية الكازينو

فرفعت يدها الى جبينها كأن صداهاً اصابها وقلقت

— ادركت يا سيدي محيي الدين دقائق صنعك • فلي والله نروم
بفضلك • انك لا عليم الناس • لا ظلم الناس • تكرمني وانت تذلني • تكرمني
وتحسن الي • وانت تعلم انني لا احبك — لا احبك • ارحمني ! ورق الجالي !
والله ان ملكتني فلا تملكني حية • اعذر مني حرية قولي وحرية فعلي •
هذه شيمتي •

— اكرمك فتشيتيني • ولا بأس • ولكنك مخطئة في ظنك فقد ادركت
من زمان ما جهرت به الان فمعت قلبي غنك • وان ما نلت من الاكرام
في هذه الايام هو بعض حقك ولا فضل لي في شيء منه • تأكدي ذلك •
وليس البيت هدية • في • قلت لك — •

— حسن حسن • اقبله على شرط ان اسحب الادارة به • ادفع الاجرة
من كيسي •

— لا فرق • لا فرق •

قلت غصن البان الى بيتها المجيد فاقامت فيه محفوفة بالخدم متمتع
بنعيم الدنيا نعيم الاجتماع • وبذلت في فرش وزينت فوق ما كانت تحصله
من المال • وامسى بيوها مجتمع الشعراء والكتل والباكوات من الطبقة
التي قلما تراعي اصطلاحات الاجتماع • ولا يهمهم ان يقال فيهم انهم من
اتباع راقصة او مغنية • وكانت تعد لهم الماء دبا الفاخرة وتدهشهم كل مرة
بحفلة جديدة اجاعتها او بأثر نادر عجيب • وبكلمة اصبحت غصن البان
ربة بيت وصاحبة منزلة • لا تعترض كلمتها في المجالس ولا يرد في مخازن

البلد، طلبها .

ولكنها مع ذلك ظلت راقصة في اعتبار الناس . وكثيراً ما كانت تتألم حتى من الاقربين اذا تجاوزت حدها . ولا غرو ، فالراقصة في الشرق مهملات اقلت فنها وابعدت لا تستطيع ان تكتسب اكرام الناس الحقيقي المجرد من مشوحات النور والادعاء والتعطف . رقصت امام الخديوي فانتقد بعض الصحفيين سوءه وطعن بها طعناً ذمياً . حضرت البالو قفيل به هذه بدعة لا تغفر . فحقت بيتاً في شارع قصر النيل فصاح نساء الاعيان - وغداً ندعونا من اترابها . الى متى هذا التروير ؟

حاولت غصن البان ان ترفع نفسها اجتماعياً الى منزلة فنها فلم تفعل . فعادت الى نفسها تعيش حرة مستقلة كما يطيب لها . وقنعت بشهرتها التي لا تلبث ان تزول ، ونعيمها المادي الملازم مثل ذي الشهورات ومن حمام حولها من المتحذقين والكيسين عشاق جمالها .

ولا يجوز ان تغفل حقيقة هامة في حياتها وهي انها لم تستسلم الى الاقدار تمام الاستسلام . فكانت تسعى دائماً لنيل ما تنوي اليه نفسها وما يتطلبه عقابها وقلبها . فثبتت في الجهاد حتى الفوز او الفشل . وهي وان عاشت لاميالها واحوائها فلم تكن كسائر الراقصات والعوافي . ولكنها في ما شاع عنها من امر غرامها وحرية اختيارها اثارت عليها خواطر زميلاتنا ومن حرم مجالسها وهبات قلبها من الطالبين . وقلما هميا ذلك . قالت الراقصات - تعيش مثلاً وترفع علينا . ما شاء الله ! وقال بعض الشبان - ان هي الا

يومسة . وكان الحاج نحبي الدين يسمع مثل هذه التهم والفريات فيفضي عليها ويستمر في اكرام غصن البان

— الفصل السابع عشر —

جاء ذات ليلة خادم الكازينو يقدم الى غصن البان بعد ان اتمت رقصة باقة من الورد . فلما وقع نظرها على البطاقة فيها اعتراها هزة مبهجة مزعجة . فارتدت ثيابها وهي تفكر بمن خدعها في باريس وجفاها وجاء اليوم يجرد عهد الحب . ولكنها مع ذلك لم تذكره نجيب مراد وقد اعجبت الان بجرأته واقدامه . ولما قابلته مرحبة باسمه بادرها قائلاً لا شك انك نائمة علي — لا لا . وحياتك .

— وحياتك ان امرأ هاماً استدعاني ذلك اليوم من باريس ولم اتمكن

من

فقاطعت غصن البان قائلة — لا ذنب مع استغفار . فقد عذرت وصفت . قل لي . كيف حالك ؟ ومتى جئت القاهرة ؟ وكيف علمت بوجودي هنا ؟ — جئت القاهرة منذ اسبوع ولما قرأت في الجرائد عن الراقصة الشهيرة في الكازينو قلت هي مريم لا شك .

— اسمي الان غصن البان .

— نعم يا ست غصن البان . تفضلني .

— الى اين ؟

— الى نزل كستينثال تناول شيئاً من الطعام .

« بينا هما جالسان الى المائدة عاد حجج ، مراد الى موضوع سفره من باريس
 فقاطعته ثانية تقول - غير الموضوع - لا حاجة يا صديقي للاعتذار -
 اما قصتي بعد ان سافرت فطويلة اقصها اليك في غير ذا الوقت والمكان
 ودخل اذ ذاك مصباح افندي فابصر عمن البان فجاء تواء يسلم عليها
 - اهلاً بشاعري العزيز - تفضل - سادشك بعلمي - البارح زارني احد
 المشائخ فعلمني آية انلوها الان عليك - اجلس حيث يوءخذ بيدك وتبرء
 لا حيث يوءخذ برجلك وتجرء »

- الخنثى - واللحن جريسة - تبرء وتجرء لا تبرء وتجرء - اذكري
 ذلك - فلو سمعتك الشيخ لتغض منك يديه -
 - التحو والمشائخ سيان عندي - بل التحو مثل المشائخ شعره ابيض -
 بارك الله لك فيه - اقدم اليك صديقي نجيب افندي مراد من اعيان بيروت
 - انعم واكرم ! شرفت بلدنا -
 - وحضرته ...

فقاطعها نجيب قاللاً - حضرته بنسى عن التعريف - مصباح افندي
 شرفت فأنتست -

- جيتك يا غصن البان بخير مدهش
 - وما هو ؟

- في القاهرة شخص واحد لا يعجبه رقصك

- من هو ؟ قل لي من هو - فقد سئمت من يعجبهم رقصي - فلا شك

إن الرجل ممتاز بمقله .

— هو واسطه شهيرند د بك على مبره .

— افسدت الطبخه . هو شيخ من مشايخ الازهر . ولا عجب

— بل هو قسيس من قسس النصارى يعلم في احدى مدارس الافرنج هنا

— انعم واكرم بشيخك وبقيسي . ليتك تركتني في وهمي . فقد

بثلث لنفسى رجلاً مثلك او مثل نجيب افندي ووددت التعرف به

فقال نجيب — لو زرت سوريا ورقصت هناك لشاهدت من مثل

هذا الرجل المئات والالوف . كلنا في سوريا هذا الرجل . لا نرى في مثل

رقصك ما يراه اخواننا المصريون .

— اي انكم لا تخدعون مثلنا . لتهنأ سوريا بحسافة رجالها .

— بل لا تثنأثر مثلكم . ارجوك المواءمة . فقد اسأت فهمي . اردت

والله ثناء .

— وانا كذلك .

فقال غصن البان ضاحكة — والحمد لله على سلامتي . خطر في بالي

المثل السائر — ولكنه لا يليق بهذا المقام . فلا بأس ان تغار قسم الثناء باسمي

فخلى شرط ألا تشاركوني به . لنشرب سر مصر وسوريا

فقال نجيب مراد — وفلسطين ايضاً .

فصيحته غصن البان وقالت على الفور — لا اشرك مع البلاد المقدسة بلاداً

— الحق معك . ولكن الفن يا غصن البان يتمدى مثل الدين البلاد .

ومصر بلاد الفن قديماً وحديثاً • سر سوريا ومصر •

ثم قال نجيب مراد ليفظهر للشاعر انه اسبق الى قلب الراقصة الشهيرة منه -
أتذكرين يوم شربنا هذا السر في باريس ؟

فاغتالطت غصن البان ولم تكثرث بما قال • وفي تلك الآونة قرب من
المائدة رجل نحيل الجسم عدل القامة يناهز الاربعين من العمر حنطي اللون
غائر العينين في وجهه اثر الجذري واثار القصف والتمتت • وهو يلبس شويطة
ركا كابر الانكليز ويميل بطوبوشه حتى حاجبه الايمن فيكاد والزجاجة
يتماسان • قابضته غصن البان قادمة اليها فبادرته وهي جالسة بالسلام •
ومدت اليه يدها فقبلها •

- اهلاً بسعادة الباشا • جئت بوقتك لتتخلصني من حجر الرحى • اكاد
أسحق بين حب سوريا وحب مصر • بل بين التحليل والمسايرة • وانت لا
تجامل حتى غصن البان • ولا عجب فانا لا احبك ولكني احب حديثك •
تفضل • اجلس بيني وبين الشاعر • وأجرتني منه •

ثم قدمت اليه جليسيا وقالت تعرفهما به - صاحب السعادتين الحائز
فكلى الرتبين المصرية والانكليزية بل ولي النعمتين - نعمة الملك ونعمة الامير -
سر همت باشا •

• فاحنى سر همت رأسه باسماء ابسامة الازدراء ولسان حاله يقول متمكماً -
علمت شيئاً وفانت عنك اشياء • ثم أمر الخادم ان يحضر زجاجة من الشمبانيا
وقال يخاطب غصن البان - هل سررت في الاقامة بحلول •

- كيف لا وحيت بهذا السعال المكرب ؟ ارجوك ألا تذكرني بها .
 سرحت بأشياء يا نجيب افندي عالم أسر . . . ما هي الكلمة ؟
 — أثري .
 — أثري . أثري . أي انه لا يهتم لغير الماضي — الماضي القديم البعيد .
 يحفر القبور ، وينازل الموميات .

— انخطأت . نقل القبور الى القصور . فانها اجدر بميت كريم من حيي لئيم . ونغازل الخالديات الذكر لا الموميات — الخالديات الذكر عرائس الحب . لا يهمني من الحاضر غيرهن ، والبخور تحرقه في هياكلهن ، والخمر نشرب على ذكرهن ، وما سوى الحب والخمر هلس كله يهلس . الاحتلال الانكليزي ، والحزب الوطني ، ومشائخ الازهر ، ومفتي الديار المصرية ، وتحرير المرأة ، والبالو الخديوية ، ورقص فحسن البان هذه كلها تدل على امر واحد هام . وهو ان الناس هرباً من فراغ في قلوبهم وظلام في عقولهم وعقم في نفوسهم يتلهون بالخزعبلات السياسية والاجتماعية وبالخرافات الدينية والفنية . ترقص فحسن البان فتعبت بالعقول والقلوب ، يخطب مصطفى كامل فيطرب الناس ، يتفلسف الشيخ محمد عبده فيسلينا ، يخطب شيخ الازهر فيضحكنا ، تصدر اوامر النظارة الخارجية من « دون ستريت » الى المتمد الانكليزي فتبعث بنا الى الحمام ، يصدر قاسم امين كتاباً فترفع اسعار « النسخات » في البلد ، حمر على النبي ! اكتشفت أسس اكتشافاً يزعم انتقاد سوء الامور . التوايح كلهم لم انهم يعلمون . مددت يدي أمس الى صدر ملكة من ملكات

القراءة ١٠٠

فقاطعته غصن البان هانئة - يا للفضيحة ويا للعار !

- اي والله . جسارة هي بل سوء ادب مني ولكن العالم في بعض الاحايين فضولي . مددت يدي الى صدر الملكة فاقبست فيه صفيحة من البردي كتبت فيها هذه الكلمات « سأوافيك غداً نصف الليل الى البستان تحت شباك البهو الكبير »

- الله الله ! يا دائم يا كريم !

- نعم . كل ما سوى الحب يا ست غصن البان هلس بهس . كله يزول
« سأوافيك نصف الليل الى البستان تحت شباك البهو الكبير » لعدي ان في ذي الرسالة سر الحياة كلها . ولكن فيها ما هو اغرب من « سأوافيك » فيها اسم علمت بعد البحث والتقصي انه اسم الكاهن الاكبر - كاهن الميكل الملوكي .

ورفع النظارة الى عينه يشهتها تحت حاجبه وهو ينظر الى غصن البان كأنه يسألها رأبها . فقالت - وهل وافقه الملكة ؟

- وافقه الى البستان ورافقته الى قدس الاقداس في الميكل . وماتت في سريرته وأوصت ان تدفن الرسالة معها وفي صدرها . انما هذه الخالطات الذكر تزول الاديان والاعم ولا يزول الحب . تتغلب العادات والسياسات وتغير الأزياء والاسماء والحب هو هو - خالد ازلي ابدي . والعاقلة لا يهتم في الحاضر لسواه .

- وهل عثرت يا سر همت على موميّة راقصة من راقصات الزمان القديم
او على أثر من آثار الرقص في الصور والتماثيل ؟
- عندنا كثير منها +
- بالله حدثنا بها .

- غداً ارافقك اذا شئت الى المتحف المصري واطلمك على آثار الرقص
وصور الراقصات والراقصين لان الكهان في قديم الزمان كانوا يرقصون
والعذارى في المياكل ...
تقاطعه مصباح افندي قائلاً - ويدعونهم بعدئذ الى قدس الاقداس -
لله من الكهان !

- ولكن رقصهم جميل يشابه في بعض حرركاته رقص غصن البان
فقال نجيب مراد - واللبثانيون حتى اليوم يعجبون في الكرم في عيد
عار باخوس اي اله الخمر عند الرومان فيرقصون رجالاً ونساءً كما كان
الرومانيون قديماً يرقصون ما يدعى " باكانال " فيهرجون ويهرجون
ويسكرون ايضاً رجالاً ونساءً .

- يظهر ان كل جنيل مبهج في الحياة اصيله الدين . كالرقص مثلاً
والشعر والتصوير والنحت . كل الفنون الجميلة عند اليونان والرومان قديماً
وعند الاوربيين حديثاً اما الدين اوحاها الى نوابع البشر . ولكن الاديان اليوم
قد افلست فلا توحى الى الناس غير الجهل والتعصب والرياء .

- ما اسرعكم الى تجريم الاديان . الجهل يا مصباح افندي ، والتعصب

والرياء من حقائق الوجود الملازمة يمازج الخير شرها . الجهل مفيد . لولاه
مثلاً ما احتل الانكليز مصر . وغداً يغيم على جيش الاحتلال ويتسلل الى
« دونن سترت » فتتصر على الانكليز قوة سياسية جديدة . لولا الجهل مثلاً
ما ظهر مصطفى كامل وامثاله في اوربا من زعماء الشعب الممخرقين . ولا
غنى للشعب عن البهلوان يسليهم في ساعات اليأس ويضعهم اوقات الضجر .
البهلوان في السياسة او في الدين او في الملاحى ألزم منك يا ست غصن البان
اما التعصب فهو لازم لحفظ التوازن بين الشعوب ، وبين عقائدهم السياسية
والدينية . التعصب اساس كل اعتقاد ، والاعتقاد اساس الايمان ، والايمان
اساس العمل والعمل — لولا العمل لكانت الارض فقراً بقلماً . اما الرياء فانه
هو الادرع تدرع بها على لوم اللوماء وجور الامراء . بل الرياء حجاب
لسدله على نفس حساسة تأبى السفور في الاجتماعات حيث يختلف الحابل
بالنابل ويحك منكب الصعلوك بمنكب الامير — وها صديقي الحاج محيي
الدين اخبث الناس واشدهم تعصباً قادم الينا . يا حاج محيي الدين
فسارع الحاج الى سر همت يسلم عليه معتذراً مستغفراً .
— اتيت عليك في حديثي . قلت انك اخبث الناس واشدهم تعصباً .
فينبغي ان تشاربنا . هذه الكأس فقط .
— لا اقبلها الا من يد غصن البان .
— تعظفي اذا يا غصن البان !
— فانك يا سيدي محيي الدين استماع حديث سر همت باشا . فقد

حبيب الينا الموت والحب .

فقال الحاج متبكماً - بن الحب والموت . رحم الله القارض -
 وان شئت ان تحيي سعيدياً فمت به شهيداً والا فالغرام له اهل
 - ونعم وصرت اود ان اكون مومية من الموميات
 - لافش في صدرك عن رسائل الغرام ؟ ها ها !
 - دعنا من المزح . فان حديثكم يا سادتي لذيد مفيد جداً والاختس
 الفتاة جاهلة مثلي . مدحت الجبل يا سر همت اكراماً لي فاهنتني . اودعك
 ناقة عليك .
 ونهضت اذ ذلك غصن البان فنبض جلساؤها كل يريد تشيعها الى
 منزلها . فقال سر همت - نلقي القرعة .
 - لا لا . قد تقع عليك . نجيب افندي يشيعني الليلة .
 وركبت وصديقها القديم عربة اوصلتهما الى منزلها . فدخلوا الحنية
 والحارس نائم في صندوقه عند الباب فوقفت غصن البان تودع نجيباً .
 فقال مدهوشاً - انغيرين عادتكم معي ؟
 - لا بل هذه العادة . اتيت بباريس يوم كنت نشيعني الى منزلي عند
 مدام لامار

- ولكنني لم انس -

فقاطعتها قائلة - لا لم تنس فوزك بل نسيت مقدماته . نسيت المكافئ
 التي تكلمتها لتنال اربك . وانا لم انسها . فقد اتخذتها شرعة حياتي . دقائق

الحيل يا نجيب تغفر اذا علمتنا وهدبنا ، وقد غفرت بعد ان ادركت
حيلتك ، وساحفظ لك ذكراً جميلاً في قلبي . ليلتك سعيدة .

ولم تغف غصن البان لتسمع جوابه بل دخلت الى بيتها واغفلت الباب
فجاءت الخادمة تعينها في خلع ثيابها وتعد لها الحمام

وفي تلك الآونة طرق الباب طارق فجاءت الخادمة تفتح فاذا بمصباح
افندي مضطرب البال مكفهر الوجه يطلب مقابلة سيده فارتدت غصن البان
ثوب الحمام واستقبلته في باب غرفتها .

— أفلا تأذنين لي بالدخول

— لا ، لا . اهنتي في مجيئك الان جئتني متجسأ . وهب ان الرجل
عندي في هذه الساعة فما حثك علي . ألم اقل لك مراراً اني حرة ، مستقلة ،
ولية امري ، ولية نفسي ، امنح من اريد حبي واحرمه من اريد ؟

— وستدركين خطأك وستندمين . انك يا صديقتي لقي ضلال مبين .
من تمنحينه حبك فيمنحك حبه يلقي في قلبك مسئولية عظيمة — اذا كنت
ذات وجدان . الحب يا غصن البان تقبله الحرية المطلقة كما يقبله الاسر
المطلق . اذا احببتك وكرهنتي فرحمة الله عليك . اذا احببتني وكرهنتك
فرحمة الله علي .

— لا ادرك معنالك

— أو لا نقولين ادخل فواضع

— لا . لا .

— ألا نفي الداخل من توء ثرينه علي ؟

— ذلك لا يعنيك .

— يستدمين علي ذا التصرف .

— لا اندم علي شيء افعله من تلقاء نفسي . اتركني وحدي

— لو تأكدت انك وحدك . . .

— كلمتي شرقي . انرتاب بما اقول ؟

— العذاب يذهب بيقيني . الغيرة تذيب ايماني .

— واذا ادخلتلك تندم . تندم والله . اذا ادخلتلك تقتل في ما هو اعز

من اليقين والايمان لديك .

— اما انا واما هو .

— في دخولك منزلي الليلة خروجك من قلبي الى الابد . ادخل . ادخل .

فتش وارح نفسك .

فدخل مصباح غرفتها وجعل يفش كالمجنون تحت السرير وتحت

الديوان وورا السجوف ووقف مذهولاً حائراً بل مدحوراً مذموماً .

— أفلا تعجل الان .

— وما أدراني —

— ألم تزل في ريب مما اقول ؟ لقد جنيت بملئ نفسك !

وصفقت كفاً علي كف فجاوت الخادمة .

— شيعي مصباح افندي الى الباب

- الفصل التاسع عشر -

الراهب الذي ذكره مصباح افندي تلك الليلة في نزل كنتيننتال انما هو راهب البحيرة - ذاك الذي كان في طبريا يستحم بحماماتها الممدية يوم كان القس جبرائيل مقيماً في تلك الناحية ومريم - بل هو القس بولص عمون الذي اجتمع به القس جبرائيل بلبنان . ولما سافر فجأة من طبريا جاء الى مصر يعلم اللغة العربية في احدى مدارس الافرنج . وقد يذكر القارىء ان القس بولص من علماء الكنيسة العصريين . فيلسوفاً روجي غزير المادة نقيب الفكر يجمع بين اشد النزعات الدينية والادبية مؤلفاً مقارناً ، بين الطلعة ، حاد النظرات ، فصيح اللسان ، شديد المارضة . يحمل في عطفاته الرنانة على كفر شبان العصر مستهداً بثولتر ، وعلى تهكمهم وفحشهم مستهداً بالقديس اوغسطينوس . وما له شأن اشتهر في مصر واصبح محترماً معزراً في قومه يشار اليه بالبنان .

ولما ظهرت غصن البان محدجها الشهرة من كل مكان ، وجعلت الجرائد تنشر النصوص الطوال فيها مطرقة منركة ، والناس من عليه القوم وعامتهم يلهجون بذكرها ، طفق القس بولص يندد في عطفاته بها ويحذر الناس من ذا الجنون بخزعبلات الملامي والفنون الموءية الى فساد في الذوق ، وفي الاخلاق ، وفي العقول .

والنفس بولص حر الكلمة شاذ الطباع لا يحفل بأقوال الناس إذا رام عملاً ولا يهجم انتقاد أخوانه إذا انبرى يناصر ما يظنه حقاً وعدلاً . فقد ذهب ذات ليلة إلى الكازينو لي شاهد بعينه رقص فغصن البان . فلما ظهرت الراقصة على المسرح في مظهرها البسيط الفتان اعترته هزة إعجاب أحدثت في قلبه تأثيراً جديداً . بل استيقظت فيه عاطفة الحنان والوداد — أجل فقد سحر القيس بزهة كسائر الناس . أوقفت حركات الراقصة حركة المنطق فيه والبيان . أفسدت حجته . بلبت أفكاره . ولكنه لم يلبث أن عاد إلى علمه وتقاليد — إلى معقوله في الأشياء . ومنقوله . واستمر يندد برقصها ويحذر الناس من السم في سم قتها ! ومن الشر في سحرها .

وفي صباح ذات يوم بينما هو ذاهب إلى الكنيسة خطر له خاطر استعاض بالله منه — أحق ما أقول . أعدل ما أنا فاعل ؟ ومن هي يا ترى هذه الفتاة من أين ؟ فإن بين رقصها ورقص بقية الراقصات فرقاً عظيماً . في رقصها شيء من التقوى ، شيء من العبادة ، شيء من الحزن . أحق ما أقول فيها ؟ أعدل ما أنا فاعل ؟

وظلت هذه الأفكار تتجاذب معقوله ووجدانه حتى حملته ثانية إلى الكازينو . جاء يطلب مقابلة صاحبها الحاج محيي الدين فادخله الخادم إلى الإدارة فاستقبله الحاج مرحباً واجلسه على الديوان فمرّف القيس نفسه إليه قائلاً — وقد تنظرتُها حيناً ونفقاهاً من يندد برقصكم الشهيرة وبرغب بمشاهدة رقصها .

فَتَشَفَّ الْحَاجُّ مُرَدِّدًا وَهُوَ يَعْدُ سَجْدَتَهُ - اسْتَغْفَرَ اللَّهَ - اسْتَمْلَرَ اللَّهَ - سَبَّحَانَهُ
تَعَالَى حَبْلَانَا كُلُّنَا مِنْ طَيْبَةٍ وَاحِدَةٍ - الْحَاجُّ وَالْقَاسِيْسُ وَالرَّاقِصَةُ - وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ
يَرْحِبُ الْجَمَالَ +

- وهل لك ان تطلعني على شيء من امر هذه الفتاة؟ هل هي من مصر
- لا يا سيدي - لا -

وجاء اذ ذلك الخادم بالقهوة +

- تفضل - لا - لا - العفو! وما الغرض من سوء ال سيادتكم؟
فسكت القس بولص عن الجواب هنيئة ثم قال - سمعت ان اسمها غصن
البان انما هو اسم مستعار +
- هذا صحيح +

واطرق الحاج قليلاً - ثم نظر الى جليسه نظرة ساحر يدعي علم الغيب
- نظرة خبيثة مزعجة +
- اشعل سيكارة - واطرق ثانية +

- ممنون +

فرفع اذ ذلك الحاج رأسه فجأة كأنه لقي ما اضاعه او كأنه يسأل
جليسه وهل انت الرجل؟ ثم قال

- صحيح - صحيح - اسمها الحقيقي مريم - مريم - وقصتها عجيبة
غريبة - سبَّحَانَهُ تَعَالَى يَمْنَعُ الْآلَاءَ مِنْ يَشَاءُ وَيَحْرِمُهَا مِنْ يَشَاءُ - يرفع الوضوء
ويخفض الرِّفْعَ - فان نشوء غصن البان لمن اعجب الامور - ولا اخشى

ان اطلعكم على شيء من امرها . ولا اكنتم سيادتكم - انامرون بأركيلة ؟
- ممنون لا ادخن .

- لا اكنتم سيادتكم ان تتدبركم بها ينفعها وينفعنا اكثر من مديح
الشعراء والطراء الصحافيين . ووددت والله لو ان مشايخنا مشايخ الارض
يقتشون اثركم . مائلا وهذا . مريم يا سيدي ولدت في قرية صغيرة قرب
الناصره . وتربت في دير من اديرة الايتام فيها . وخدمت سنتين في بيت
احد الوجهاء هناك

وامال الحاج بماتته الى الامام ونشيت في جلسته على الديوان وهو يحرق
النظر بالتقسييس . ثم قال - وحدث لها من الحوادث ما لا يليق ذكرها .
حوادث محزنة . محزنة جداً . وجاءت القاهرة من باريس . وهي الان
- لا تنو اخذني - ربة الرقص في البلاد . هذه قصتها بايجاز . سبحانه تعالى
ومحاب الذكاء . رب النعم والآلاء . يمنحها من يشاء ويحرمها من يشاء .
الذكاء نعمة . والجبال نعمة . وغصن البان . . .

فتعلمه القس بولس قائلاً - وهل لك ان تدلني الى بيتها ؟

- على الرأس والعين .

وصفق كفاً على كف فجاء الخادم فقال يخاطبه - دل سيادة المعلوم -

- لا . لا . لا اكلفه الى ذلك . وليس غرضي . . . تكرم بعنوانها فقط

- كما تريد . وأدى اليه ورقة كتب فيها عنوان غصن البان

فاخذها القس بولس ونهض شاكراً مودعاً . فسيه الحاج محبي الذين

الى الباب - وشيعة ينظرون ويفكرون الى ما وراء الأبواب وهو يعد سببته ويبرز رأسه متأملاً حائراً .

— الفصل التاسع عشر —

جلست غصن البان الى المائدة تتناول الفطور ويدها بضعة تحارير جاءتها صباح ذاك اليوم في البريد . فتفتحت الأول فاذا هو من سر همت باشا يسألها مراقبته الى المتحف المصري ، وفتحت الثاني فاذا هو من احد الشبان المتيسرين فمزقته باسمة ، والثالث من قرأ في الموسيقى يلح عليها في تسديد حسابه فمزقته واجمة ، والرابع من احد تجار العاديات يتوعدها بالشكوى ان لم تدفع ما عليها فمزقته حاتقة ، والخامس — مزقته ، والسادس كذلك ، والآخر وقد ادركت فحواء من العنوان لم تتنازل ان تفضيه . وضربت المائدة وهي تقول

— ليتظروا مثلما انتظر . وكيف لي بدفع ما علي والكازينو لا تدفع ما لي ؟ يا مرجانه ! يا مرجانه !

— نعم يا ستي .

— ألم تسمعي الجرس . من ذا المبكر يا ترى ؟

قراحت الخادمة تفتح الباب وعادت تقول

— الصائغ ستي يطلب مقابلتك .

— ليحي . بعد الفد . بعد الظهر لا صباحاً .

قراحت مرجانه وعادت تقف امام سيدتها خجلة مضطربة .

— ما بالك ؟

— هو في الباب يقول اما ان تعيدي الخوازم واما ان تدفعي ثمنها الان
فنهضت غصن البان تحتم غيظاً ودخلت الى غرفتها وعادت بعليتين
صغيرتين دفعتهما الى الخادمة لتسلمهما الى الصائغ .

— قولي له — وسكت تجارب غيظها ثم قالت معلمتي تسلم عليك
وتتدبر اليك .

وما كادت تنتهي من فطورها حتى قرع الجرس ثانية ففتحت مرجانه
الباب واذا براهب يسأل عن غصن البان .
— وما اسم سيادتكم .

— قولي لها ان راهباً من بلادها يروم مقابلتها .
فجاءت مرجانه تخبر سيدتها فقالت غصن البان كأنها تخاطب نفسها —
راهب ؟ راهب من بلادي ؟ قد هربت من الرهبان . ولا شك ان ذاك
الراهب الذي يندد بي ورفضني . لا . لا . ثم خاطبت الخادمة — قولي له
اني لم ازل نائمة .

فعاد الراهب في اليوم الثاني فقالت له الخادمة بعد ان قابلت سيدتها —
الست مشغولة الان ولا يمكنها ان تقابلكم .

فلم يحفل بقا التمتع والاستكبار وراح ثالثه يطرق باب غصن البان في
شارع قصر النيل فكان الجواب فصل الخطاب
— لا رغبة للست بمقابلة سيادتكم .

— لا بأس . لا بأس .

واثنى القس بولس عمون راجعاً الى مدرسته كائناً غيظه لائماً نفسه
على ذا الاهتمام لراقصة غرة ضالة .

وفي ذاك الصباح بين كانت غصن البان تغض تحاريها وتمزقها كان
عاطف بك والحاج محيي الدين في ادارة الكازينو يتحدثان بشأنها

— أو انت آذنتها ان تباع ما تريد باسم الكازينو . تفضل . ودفع
عاطف بك الى شريكه ثلاث قوائم من بعض التجار في الموسكي .

— لا بأس . لا بأس . ولا بد . من وضع حد لذلك . ادفع هذا المبلغ
من اجرتها واكتب الى هؤلاء التجار اننا غير مسئولين من الان فصاعداً عما
تبتاعه غصن البان .

— بل ارى من الواجب ان تعلن ذلك في الجرائد . والا فتصبح غداً
شريكتنا . وقد قلت لك ان الاقبال على الكازينو هذه السنة لا يكون كالسنة
الماضية . فقد اخطأنا في اتكالكنا عليها وحدها . اخطأنا . فالتاس يملون
كل شيء .

— لا بأس . لا بأس . في الشهر القادم نغير اللائحة .

— من رأيي ان نبتدى منذ الغد . في البلد جوقه من الروافص الأفرسيات

— ولكن وثيقتنا وغصن البان لا ينقضي اجلها حتى آخر الشهر القادم .

دعها الان . ولا تفاتحها بالامر .

وركب الحاج محيي الدين عربة يقصد ادارة إحدى الجرائد . فابصر

وهو مار بالازبكية الشاعر مصباحاً جالساً في السبلند بار وحده يشرب
الوسكي والسودا . فأوقف العربية وصرف الجوزي وجاء . يسلم عليه
- يا مصباح افندي .

- والسلام عليكم . تفضل .

- مالي اراك على شيء . من الكدر ؟

- وهل يصفي الزمان لابن الشئ يا محيي الدين

- وهل يرضى الشاعر بالشمس والقمر لو سُخر له يا ترى ؟ سبائك

اللهم ! انت الوحيد يا رجل المقرب من غصن البان المتع بجمالها وحيها .
المقيم بتعيم

- حبك . حبك . ونادى مصباح افندي الخادم . فطلب الحاج

محيي الدين فنجان قهوة .

- وماذا دهالك قل لي . كنت اظن ان الشاعر حليف النصر دائماً

في الهوى .

- الشاعر يا محيي الدين يحب حباً وثيق العرى قصير المدى . يحب

مرة كالفارص ويمشئ دائماً كالهباء زهير ، يفرغ نفسه في يوم واحد ويعيش
مدامياً موهماً حزناً بقية ايام حياته .

- وهل نبذت غصن البان يا ترى ؟

- بل نبذتني . لقد ذاق قبلي السم في الثمالة فكسرت الكأس .

- وكسرت قلبها انتقاماً . اتقوا الله ايها الشعراء .

— والله لقد كسرت الكأيس وكسرت نفسي • حبها نار يا محبي الدين
وحب الشاعر نور •

— ولكن في غصن البان غير جمالها الظاهر ما يحجب مثلك اليها •
ان مواهب نفسها لما يعجب به اولو الالباب والنهي • ولعن اطلعتك على
شيء • من امر نشأتها لازداد اعجابك بها وجبك لها • هي نابنة مثلك والله •
آية من آيات الدهر •

وجعل يقص عليه ما قصه على القس بولس عمون • فرفع مصباح رأسه
مصنفاً وابرقت اسارير وجهه • فاستمر الصاج في الاغراء طلي التليس
والاعجاب •

— وقد أتهمت المسكينة بجريمة ارتكبت بسببها في بيت اسيادها في
الناصره • وسجنت خمسة اشهر • قصتها والله عجيبة ! — وفرت هاربة الى
طبريا مع راهب يقال انه ابرها • ووضعت هناك ولداً •
فحماق مصباح عينيه مدهوشاً • أصحیح ما تقول ؟

— لقد ساقنتي التقادير الى الناصرة في سياحتي الصيف الماضي والناس
هنالك صغیرهم وكبيرهم يعرفون قصتها • والله احزنني امرها
ونظر اذ ذاك الى مصباح افندي يستطلع ما كمن وظهر فيه من مفعولة
ذا الخبر • ثم قال وهو راض بما كان

واظن ان اباهها اليوم في القاهرة • أي والله • قد يكون ذلك التفسير
الذي يندد بها ويرقصها •

- هذا من اعجب . ا سمعت حياتي . وهل اخبرت غصن البان .
- لم اخبر احداً غيرك . الاما جد يا مصباح افندي يسترون العيوب .
- ولولا ثقتي بك ما اطلعتك على ما افنك تسره ولا تذيبه . ولكن غصن البان
- اصبحت الان سيدة نفسها وسيدة الفن . وقد لا يهمها من ماضيها شيء .
- سبحانه تعالى يمنح آلامه من يشاء . ويحرمها من يشاء .
- فتنهض مصباح افندي على الغور كأن جاءه الوحي وودع محبي الدين
- معتذراً وراح مسرعاً الى غرفته يدون الآيات .
- والحاج يضطجك في نفسه ويقول — ما اغرب اطوار هو لاه الشعراء .
- قد يذبح الشاعر مصباح الراقصة غصن البان هذه الليلة . ويرثيها غداً .
- سبحان الله . سبحان الله .

وفي اليوم التالي نشرت ادارة الكازينو اعلاماً في الجرائد مؤداه انها غير
مسئولة عن ديون غصن البان السابقة والحاضرة والمستقبلية . فازداد قلق
التجار وحاموا . نول الراقصة ملحين ملجين مصريين متوعدين . غداً وبعد
غداً وبعد بعد غدٍ كلمات لا تسحر التجار . فاصدرت الدعاوى . واصدرت
المحاكم احكامها . وبوشر كل في برهة شهر واحد تقيب فيه الحاج محيي
الدين عن مصر عمداً . ووقف الدلال في البيت الذي اُديت فيه المآدب
الفخيمة . وعاثت فيه غصن البان بضعة اشهر عزاً ومجداً . يبيع بالزاد ملة
فيه من الرياش والنحف والاعلاق والانار . وكانت الجرائد اثناء ذلك تنشر
المقالة تلو المقالة في افلاس غصن البان وسقوطها ، معددة دائيتها وعشاقها ،

واصنفة تلك المآء دب الفخمة التي كانت تأديها لاصحابها ومريديها ، مرددة اقوال الحكماء في القصف والافراط مذكرة ، منذرة .

فطلعت غصن البان بعضها ولم تبالى ولكن مقالة واحدة اثار كل ما في نفسها من كوامن الغيظ والاسى مقالة عنوانها « مريم الناصرية » علمت من لهجتها واسلوبها انها من قلم الشاعر مضباح افندي قص فيها الكاتب قصة غصن البان من حين دخولها بيت مبارك خادمة حتى دخولها الكازينو راقصة . فجاء على ذكر هربها من الدير ، وهربها واحد الرهبان من الناصرة ، وهربها من طبريا . ولم يكتف الكاتب بذلك بل قال انها هي التي ارتكبت الجريمة في الناصرة وسجنت هناك وخلصها معلمها احد اعضاء المحكمة . وانها ابنة راحب من رهبان دير النجاة . وانها ولدت في طبريا ولدا رماء ابوها في البحيرة وغير ذلك من الحوادث التي تفسد حقيقتها الاشاعات وتعيسها الغايات والاحقاد .

احدثت المقالة هذه ضجة في القاهرة وتناقلتها بعض الجرائد في مصر وسوريا وفلسطين . وأمس غصن البان في عارها وبلائها كما كانت في عزها ومجدها حديث المجالس والقهوي والجانات . وما كاد ينقضي ذاك الشهر الاسود حتى جاءها كتاب من الحاج محيي الدين كليل به مساعيه الحسنة ومكارمه فكان الضربة القاضية عليها . والكتاب فريد في بابها فلا نضن به على القارىء الكريم .

الى العزيزة المحترمة السيدة غصن البان اطال الله بقاءها

نهديك اطيب التحية والسلام . ونأسف جداً لما دهالك من الدواهي .
 والله وددنا لو انها حلت بنا لا بك . ونسأله تعالى ان يحسن سلوكك . ويزيل
 همومك . ولقد غمنا جداً تغيبنا الشهر الماضي عن القاهرة . فقد كنا بذلنا في
 سبيلك النفس والنفس والله ! ولكننا لا نظن ان امر التجار يسلك . ولا يهتنا .
 المال يقدي بالمال . ونحن لم نزل كما كنا من مصيبك وانصارك ومريدك وما
 محتاجينه من المال موقوفك . ولكن ما نشرته الجرائد غمنا جداً . ونظن
 ان الجريدة التي نشرت تلك المقالة وفيها من المطاعن بعرضك ما يزعج الجبال هي
 مسوءولة تجاه القانون . فاذا احببت ان ترفعي الدعوى عليها فمحامي
 الكازينو تحت امرك يشهد الله والنبي على ما تقول . لقد غممتنا تلك المطاعن
 جداً جداً . سوّدت يومنا ادمت قلوبنا .

اما الوثيقة بيننا وبينك فيما اتنا متهادون سابقاً وجوقة من الرواقص
 الافرنسيات يرقصن هذا الشهر عندنا ووجودك معهن يغضبهن بل يكسفن
 قساماً . فلا نرى الآن الى تجديد لها سبيلاً .

اطيب التحيات ايها العزيزة غصن البان من محبك

الحاج محيي الدين

كتب هذا الكتاب بخطه واعاد قراءته مرتين مستحسناً معجباً وبعث به
 الى « العزيزة المحترمة غصن البان » وهو يردد ضاحكاً قول الفارص --
 وان شئت ان تحبني سعيداً فمت به شهيداً والا فالغرام له اهل
 وطفق يتمشى ذهاباً واياباً وبعد سبخته ويقول -- اخطأت يا شيخني

يا فارض أخطأت • المرء يقتل من يحب ويمشق • أي والله يتل من يحب
ويمشق • ولكن الأوغاد يقتلون من يحبون بالخناجر ، والجبناء بالسهم •
والمجانين بالمسدس • أما الأماجد فبالمكاريم والنعم يقتلون من يحبون •
نعم نعم • لو سقطت يا غصن البان من مسرح الكازينو ما ضحك ذلك •
ولكن سقوطك من قمة الهرم الكبير - من ذروة الشهرة والعز والمجد ! -
الله • الله !

— الفصل العشرون —

رمى القس بولص عمون بالجريدة الى الارض وقبض على لحيته متفرقاً
مفكراً - ينبغي ان اقابل هذه الفتاة مهما كان من امرها • ينبغي ان اقابلها
ونفس من ساعته فارتدى جيبته وحمل عصاه وذهب تَوّاً الى البيت في
شارع قصر النيل • فوجدته مقفلاً مهجوراً • لا حارس في الباب • ولا احد
في الداخل يلبي الجرس او النداء • الا ان الاطيار كانت تغرد في البستان
حوله كأنها تردد قولاً قديماً محزوناً « والطلول الدوارس هجرتها الاوانس »
انثنى القسيس راجعاً فسد خطواته الى الكازينو فتقابل هناك عاطفت
بك فاعطاه عنوان غصن البان الجديد • فجاء الناحية حول البركة وقرع
باب بيت في احد الأزقة فتفتحت له خادمة سوداء تقول - تريد ايه -

— غصن البان

— تقلت من هذا البيت الأسبوع الماضي •

— الى اين ؟

— لا اعلم • لا اعلم •

واقفلت الخادمة الباب فجأة دون اعتذار كأنها أبت ان تجيب على سؤال آخر في الموضوع • فعاد القس بولس الى مدرسته وهو يقول — لا تكرهوا شيئاً لعله خير لكم • ولكن المواجس حالت دون استسلامه • قبلت به وأيقظت في فواده المحرق المولم من الذكرى • فكتب كلمة الى غصن البان ارسلها في البريد الى عنوانها الأخير • ولث ينتظر • فمر الأسبوع الاول والثاني فلم يجئه الجواب ولا اعيد كتابه اليه • ثم ذهب الى ادارة البوليس مستقصياً • فرحب المدير به ووعد ان يبذل الجهد في البحث عن مقر غصن البان •

وبينما كان القس بولس في غرفته ذات يوم يطالع في مجلة اسلامية مقالة في تحرير المرأة والحجاب جاءه الخادم يقول — قيس من فلسطين يروم مقابلة سيادتكم •

فنزل القس بولس الى صاعة الاستقبال واذا هو في حضرة القس حبرائيل مبارك ! وقف مبهوراً اذ رآه يكاد لا يصدق ناظره • ثم هتف متأهلاً مرحباً • وتعالى الابوان وجلسا جنباً الى جنب على الديوان • — كيف حالكم ؟ وكيف اخواننا في الناصرة ؟

— هجرتهم منذ اربع سنوات •

فقال القس بولس متبحراً — صحيح • صحيح • ورحمة ابيك تخبرني • ألم تكن في طبريا منذ ثلاث سنوات مقيماً هنالك في زي الاعراب

- دعنا من هذا الآن . فقد رأيتك لما كنت انت هناك ايضاً . سنعود الى هذا الموضوع .
- واستخرج القس جبرائيل جريدة سورية من جيبه فيها المقالة التي نشرت في جرائد مصر - المقالة التي عنوانها " مريم الناصرية " .
- اقرأ هذه .
- قراتها يا ابني قراتها .
- اذا لي عندكم حاجة . انا غريب هنا ولا احسن التجول في المدينة ولا احب ذلك .
- حاجتكم تقضيها على الرأس والعين . وماذا عساها تكون .
- مهيتي سرية .
- حسن . لنصعد اذا الى غرفتي .
- لا احب ان يراني احد هنا .
- الفرقة قريبة . والتلاميذ الآن في دروسهم . تفضل .
- وصعد القس عمون الى غرفته يتبعه القس مبارك . فاذا هو عند دخوله في حجرة صغيرة فيها سرير وديوان صغير وكريسيان وحصير . ومنضدة للكتابة ورفوف فوقها طویل - لوح بسيط غير مدهون وغير مصقول اخنت الكتب ظهره . وعلى الحائط صورة القديس انطونيوس بين صورتين العذراء ويسوع من الصور اللامعة الملونة المطبوعة في ألمانيا .
- اقتل القس بولس الباب ودعا الزائر الى الديوان وجلس على كرسي

امامه • ينصت لجديته •

— جئت القاهرة يا ابتي مليباً صوت الرب الهى • جئت ابحت في هذه المدينة عن فتاة من بلادنا لعلك تعرفها • صاحبة هذه القصة • فتاة خاطئة كما تعلم شقية يتيمة وحيدة • انقذتها من العار والبلاء مرة • فضاقني مني صدرأ وهربت الى فرنسا ثم عادت كما يظهر الى مصر — المقالة هذه لا تغلو من انحنائى — وقد احاق بها العار والبلاء ثانية • ماتت امها في الناصرة منذ خمس سنوات واوصتنى بها • وقد تجلت لي الحقيقة الرائعة في الزهد والتسك منذ تلك الساعة • ساعة عرفت امها • ولا يخلص البر والنسك الا من خلاص نفسه غير نفسه • فهل لك ان تساعدني في البحث عن هذه الفتاة وفي خلاصها؟ فاجاب القس بولص والاضطراب يادى في وجهه وفي صوته • — كأتى سمعت قبلك ذاك الصوت الذي سمعته • سبحانه تعالى وتبارك اسمه

— اذا تركنا مريم نذهب فريسة المعاصي والمنكرات • اذا تركناها تموت في موبقات هذه المدينة فلا النذور تنفعنا يا ابتي ولا نسكننا يرضي الله احب القس بولص ان يسأل محدثه سوءاً فتزد خوفأ من استماع الجواب • كأنه تحقق امرأ ودألاً يكون • فأثر السكوت • ثم قال — وابن انت مقيم؟

— خارج القاهرة • قرب الاهرام • فلقد تعرفت باحد الفلاحين في السكة وانا قادم من بورت سعيد وهو يسكن هناك • فاستأجرت منه بيتاً بل كوخاً — قرب بيته • لان اقامتي خارج المدينة اوفى لتصدي • لا اريد

ان يعلم احدا بما انا فاعجل • وبالاخير الجرائد • فتفسد سعيي •
 — حسن • حسن • ولكنني اعتذر اليك الان • عليّ درس القضية •
 فهل لك ان تنتظري هنا قليلاً • فنستأنف الحديث ونفكر بطريقة تتخذها •
 — كما تريد •

— هذه مجلة اسلامية فيها مقالات تسلي وتضحك • ساعود قريباً
 وخرج القس يوليس من غرفته مضطرب البال • اسير المواجهس • تتقاذفه
 من تقادير الزمان عواصف المول المجهول • وذهب تواءم الى المدرسة بل
 الى الكنيسة فجثا امام المذبح يصلي • ثم تلا الزمور الحادي والحسين —
 ارحمني يا رب حسب رحمتك حسب كثرة رأفتك امع معاصي • ارحمني
 ربي سواء السبيل • اذا كان ما اظنه الواقع فاهدني الطريق المثلى لاختصاصي
 واخلص نفسي • مدني بنفحات من لدنك فاقوى على الشدة • مدني بنورك
 الازلي فيسير ظلمات سري المهلكة • وسجد مراراً يقبل الارض • وليث هناك
 خاشعاً ضارعاً متبحراً متأملاً • ثم خرج من الكنيسة ثابت الجأش موطد
 العزم وقد زال بعض اضطرابه •

وبينا هو عائد الى غرفته لاقاه في رواق المدرسة خادم فسلمه كتاب من
 مدير البوليص يستدعيه فيه الى الادارة • فلما اجتمع باخيه القس جبرائيل
 اخبره انه كان قد باشر البحث عن خصن البان وان رغبته بانقاذها لاشد من
 رغبته • واطلمه على كتاب مدير البوليص • ثم قال — اما اذا امتدت الم
 منزلها فلا اظنها تقابلني • لقد حاولت مقابلتها مراراً فأبقت مكابرة • وحضرتكم

تعلمون انني معروف في البلد • ولا يمكنني ان اتجول في كل انحاءها واحياؤها •
وقد تكون غصن البان —

ققاطعه القس جبرائيل قائلاً — اذا اهتديت الى البيت فانا اقصد •
انا اسمي اليها • انا اقابلها • فقد جئت من فلسطين لهذه الغاية • وحل لك
ان تراقني الان اهديك الى كوخني • فتجسني بعد البحث بالخبر اليقين •
— نعم • نعم • ولكني لا اكتمك يا ابني ان في عملك هذا قد تنفذ
نفسين وقد تهلك نفسيين •

— مشيئة الله • لتكمل مشيئة الله •

وخرج الراهبان من المدينة اصيل ذاك النهار وركبا بعد ان وصلوا الى
المبيزة « الترامواي » ساكنين لم يفقه احدهما بكلمة واحدة فنزلا قرب الحرم
الكبير ومشيا في طريق بين سهول صفراء وخضراء قرب نصف ساعة واذا
هما امام بيت من اللبن حثير •

— هذا منزلي اليوم وهذه الطريق اليه • لا اخذك تضلها ساءتظرك مساءً •
غد هنا • لا احب التردد الى المدينة ولا الى الدير كثيراً • فاستحلفك بالله
ألا تتخلف •

— بل اكون عندك غداً بعد الظهر • او عند الغروب • اظن ادارة
البوليس قد اهتدت الى منزل الفتاة • وقبل الوداع يا ابني ارجوك ان تخبرني —
ولم يكمل القس بواسن الجملة • بل وقف متزهداً •
— قل ما تريد •

— قلت ان ام الفتاة اوصتكَ بها • فهل تبوح لي باسمها •
 — وما المانع • اسمها يا ابني ساره •
 — ساره • ساره •

ورفع القس بولص يده يحجب بها وجهه
 — ساوافيك غداً هنا •

وعاد الى البلد ومراحل الحيرة واليقين تغلي في فؤاده يخاطب نفسه
 قائلاً — ساره • ساره • ما اكثر السارات في فلسطين • قد تكون هي •
 وقد لا تكون • قد تكون وقد لا تكون • واذا كانت هي بعينها؟ ربي! أيفرخ
 الآباء ببقاء بنهم وأحزون عند لقاء بنتي • مريم بنتي • اممكن ذلك؟ ولم
 اهتمام القس جبرائيل لما؟ قد كان القس جبرائيل في الدبر لما خرجت منه
 وهجرت تلك المرأة • قعادت من كفر كنا الى الناصرة • اذكر ذلك •
 لا • لا • مستحيل • مستحيل • عشرين سنة 'يدفن سري قبعته اليوم حياً
 ايها الرب لتطهرني • لتهلكني في الدنيا كي لا اهلك في الآخرة • لما احببت
 تلك المرأة واستسلمت الى عاطفة هي فينا منك يا ربي — عاطفة الحب
 المقدسة فانت سبغانتك الحب — أكان ذلك لكي تتعذب الام ويعيش الاب
 كاللص • وتشقى الابنة شقاء اليتيمة البغي؟ اذا هربت من العار المحقق
 الان بي أممكن ان اهرب من وجهك؟ اذا قتلت نفسي أممكن ان اقتل الله؟
 سيفتضح غداً امري • سيدنش الناس غداً سري • فيلعنني القاصي والداني
 وامسي طريداً شريداً مذبذواً ذمياً • • • وقد لا يكون مما اظن شيء • ساره

ما أكثر السارات في بلادنا . وما أكثر اليتامى وما أكثر المريمات ! فلماذا
تعذيب نفسك بالالوهام ايها الرجل ؟ واذا تحققت الالوهام . آه يا ربي ؛
غصن البان ابنة اتيس بولص عمون الواعظ الشهير الجامل على الرقص
والرواقص والتهتك والنسق والملاعة . اوام ! ما هذا الحساب الذي تناقشنيه
يا رب ! - بنتي طالما حننت شوقاً اليها . طالما اسفت لان امها حملتها رضيعاً
الى الدبر . طالما ندمت على فعلتي . بنتي كم ليلة سهرت متبهجداً اسأل الله
ان يجمعني بك . وما افي الان قريب منك . - قريب منك ؟ ومن يعلم .
الأنني قريب منك . ارتجف كالقصبة في الريح العاصفة . وما اخاف
يا نرى ؟ أخشاك بنتي ؟ أخشى ملثاك ؟ وما الذي يجعلني مخالفاً
الآباء ؟ مخالفاً التواميس البشرية الالهية في الحب ان التذور والترهب
والتنسك والتعبد لطرق ضيقة كلها . منقطة . باردة . اذا قولت بطريقك
ايها الحب الالهي . فاذا عدت اليك ، اذا سجدت امامك ، اذا اقتبلت الحزني
والعار من اجلك فقليل ذلك قليل . وساقبله قانماً ، شاكراً ، راضياً ؛
تكفيراً عن ذنبي يا ساره بل عن ذنوبي . غصن البان الراقصة الحاططة الساقطة
ابنتي . يا للعبور ويا للسرور . ساضمها غداً الى قلبي . ساضمها غداً الى
قلبي . ساقبلك ايها الخطيئة المتجسدة كما قبلك السيد في قديم الزمان .
سأبني لك بيتاً في فروادي . ساقضي الليالي ساجداً في نور شمعتك الضئيل
اسلم الرب الهني . ارحمني يا الله حسب رحمتك وحسب كثرة رأفتك
امح معاصي .

- الفصل الحادى والعشرون -

في الفضيحة نوع من الشهرة يلبس فريق من الناس ثوبها الاصفر على
 علته شفافاً بالياً . فيبدون سوء النفس وان واروا سوء الجسد . كيف لا
 وهم يبذلون في اعلان انفسهم الاموال الطائلة والفضيحة تعلنهم مجاناً .
 ففي اوربا واميركا اذا تناولت صحف الاخبار اسرار مثله فتكتها تزداد تلك
 المثلة شهرة فيروج سوقها ويتسابق المدراء الى المتاجرة بها ويفتخروا . فتنتقل
 من بلاد الى اخرى ومن ملهى الى آخر والاقبال حليفها والاموال بين يديها
 تنصرف بها كيف شاءت اميالها واهواءها . اما في الشرق حيث لا تفصل
 بين المرء ومهنته بين آدابه وفنه فالخزي والفشل والعار تحقيق به في الحالين
 سقطت غصن البان في القاهرة فنتسى الناس رقصها وأفسدت طلاس
 سحرها فحفاها كل اصحابها ما سوى سر همت باشا . ولم يجنحها كلمة
 تعزية او تشجيع من احد سوى ذاك الكتاب من الحاج محيي الدين فودت
 غصن البان ان تنفسه بالسم وتلقمه اياه

وحيدة . طريدة . منبوذة . فماذا عساها تصنع ؟ الى اين تذهب ؟
 كيف تتجه الان بامالها ؟ فكرت في امرها ثم فكرت وهي تظهر في اشدا
 شداتها هذه من الضعف قوة . فوطئت النفس على ان تقيم في القاهرة ريثما
 تسكن العواصف وتهدأ الرياح . ونقلت من قلب البلد الى احدى زواياها

المظلمة هرباً من الشامة بال هرباً من يعرفونها ولا يخفون بها • فهي تطيق
عذاب الوحدة والحسول ولا تطيق ظلم الشهرة والحذل •
ولكن اثنين بهما عنها القس بولص عمون وسر همت باشا واحتديا الى
منزلها في مصر العتيقة • وسر همت سعى اليها ذات يوم يعزبها ويطيّب نفسها
ويعرض عليها المال ويرجوها ان تقبل ضيافته الى ان تفرج كرجها ويسر
الله امرها •

- البيت في الجزيرة مفروش بهجور تميمين فيه وخدمك •
- لا وحياتك لا - ارجوك ألاّ تحدثني بالبيوت • اعذرني يا صديقي •
اغفني • صرت اخشى المعروف كما اخشى الافاعي • صرت اخشى المكارم
كما اخشى الوحوش الضاربة •
- غصن البان !

- ارقص لك يا سر همت وابسطك • ولكني لست آله طرب تتناولها
الناس فيضربون عليها ويمشون بها ويسكرون على انغامها • لا • لا • لست
كمنجة تواجروا ثمار او تشتري • وهب في آله طرب يا سر همت يا صديقي
فقد تقطعت اوتاري • تقطعت كلها •

- ما انصفت والله ما انصفت • اسأت فيمي • امتني • أسألك
يا غصن البان شيئاً من اشيآء الحب مرة ؟ وهل كنت ممن يحومون حولك
ابتنآء هبة من هبات جسدك ؟
- لذلك اخشاك •

— انا صديقك . وقد قلت مراراً انك لا تحبيني . ولكني ما من موة
شككت في انك تعتبرني وتكرميني كما اعتبرك وأكرمك . أجل يا اخوتي
مواهبك . واريد ان اعزف فذك . فذك يكبر على ذي البلاد . مستقبلك يا غصن
البن في اوربا — في باريس في لندن في فيانا في برلين . ولقد فكرت في امرك
كثيراً . اسمعي . لا تنظري الي عاشقاً أو صديقاً أو محباً أو ولياً . أكلمك
الان كما يكلمك مدير من مدراء البياترات . تعلمين ان اصحابي ومعارفي
في لندن كثيرون . وبينهم ذور النفوذ في عالم التمثيل هنالك . مسافر
هذا الصيف الى لندن وانواه بك هناك . اطلب واكرمك . انت الان راقصة
شرقية مشهورة . ظهرت في مصر وفزت فيها فوزاً ميبناً رغم انوف البغاة
والسعاة والحساد . ساخبر احد المدراء بشأنك هناك . فتظهرين ان شاء الله
في لندن كالشهبوات من الرواقص لا كالمبتدئات واني واثق بفوزي . دعيني
اسمي من أجلك .

— لا . لا . لا اريد ان يسمي أحد من اجلي . سأسمى لنفسي
— ان ثقتك هذه بنفسك الجميلة . وجميل آباؤك . سأسمى اذا من
أجل الفن فذك لا من أجلك . وان شئت ان تشاركيني في الارباح فلا
اعف عنها .

— اذا كنت ترمي في رقصي ما ينبغي ان يراه الاوربيون ، واذا كنت
تعاملني كما يعاملني وكيلي أو مديري ، واذا كنت تقبل مني جزءاً من
ايرادي ، واذا

— واذا • واذا • واذا • كفالك من ذي الازا بل الازى فقد اذبتني جدًا •
أعمل كما تشائين •

— وانا قابلة

— وسأسافر هذا الصيف الى اندرا وعسافي افوز بما ابتغيه فأكتب اليك
كبي تسافري أو اعود بنفسى فاستصحبك • انا الان وكيلك ومدبرك •
ولكن اقامتك هنا يا اختي ، يا صديقتي — وما لك لم تزالي تسعين — بالله
ان تقبلي ضيافتي • البيت في الجزيرة على شاطئ النيل جميل •

— لا تحدثني بالبيوت • لا تحدثني بالضيافة • انا راضية بما انا فيه الان •
هذا البيت يكفيني • ومرحانة والحمد لله ومحمود لا يهجراني

— تبصري بما اقول • البيت في الجزيرة مهجور انقلي اليه تقيمين فيه
وخادمك • واذا احببت ان تدفعي اجرتة اقبلها منك عندما تشهرين بلندرا
— اعذرفي • افضل ان ابقى هنا • سأقيم في هذا المي ، في هذا البيت
الى ان يجيئني خبر منك • عزمت عزمي ولا اتمول عنه

— كما تريدن • أو ترفضين عيادة طبيبي بعالج سمالك ؟

— لا •

— حسن • بارك الله فيك

— أو ترفضين عزيمتي الليلة الى العشاء ؟

— اين ؟

— في الكنتينال • لا أغير عاداني ولا ينهي لك ان تغيري عادتك •

أحب ان يرالك الناس معي . أفخر بذلك . لاني كما تعلمين احقر هو لاء
الناس . كانوا أمس يهتفون لك كالمجانين . واليوم ينبحون عليك كالكلاب
عليهم لعنات الله وأبليس . قومي بنا . لا يهمني اليوم بالقاهرة غيرك
- والموميات .

- والموميات . عليك نور

- انتظر ريشا ألبس ثيابي .

- ولتكن أحسن ما عندك وأجمل .

وخرجت غصن البان من غرفتها الخصوصية بعد نصف ساعة وقد ارتدت
ثوباً من الحرير الرمادي ، انيق الزي ، بسيط التخييج ، وقبعة مخمل من
لونه صغيرة شبيهة بالعمامة في مقدمها ريشة بيضاء ، تبدو فوق جبينها البراق
كقطائر من الحمام أسف على الماء .

- وما هذه الذخيرة ما غصن البان ؟

- ألم ترها قبل اليوم ؟ هي سلواي الوحيدة ألبسها في ايامي السوداء

فتليني ، تشجمني ، تعزيني . امس ولا تحفل بها .

- بل شوقني الى الاطلاع على سرها .

- سرها هنا -- واثارت الى قلبها - امس يا سر همت ولا تكن --

- فضولياً . ممنون ، ممنون . تفضلي .

وخرج واباها من ذلك البيت الحقير فوقف محمود عند الباب وبده

على رأسه . واحتجازاً رفاقاً لا نور فيه غير انوار القناديل الضئيلة المعلقة فوق

الابواب . فترى المارين اشباحهم ولا تنير سبلهم . والرواشن فوق رؤوسهم الى الجانبين تكاد تقع بعضها على بعض . ولما وصل الى الشارع المسمى ركبا عربة سارت بها الى الكنتيتال .

وبعد العشاء ونزهة في الجيزة شيعها سر همت الى بيتها قرب نصف الليل وودعها عند الباب . وكان محمود لم يزل جالساً هناك ينتظر سيده . فلما دخلت باب الرواق استفاقت مرجانة فجاءت تفرك عينيها وتقول - أتريدن حاجة مني ؟

- لا يا مرجانة . روحي ناسي .

وصعدت فصن البان الى غرفتها منقبضة النفس مضطربة البال تفكر بسر همت ووعوده وتقول -

ومن يصدق منهم يا ترى ؟ خدعوني كلهم خدعوني . ولم يزلوا يحاولون . ولكني لست اليوم تلك الساذجة . بيت علي شاطيء النيل - شهرة في لندنرا - وكيلي - صديقتي - ما شاء الله ! أو تلام الراقصة الحاملة المسكينة الضعيفة اذا خدعت واجذلت وامتهنت . يتحجر قلبها وتفسد اخلاقها وتتجعد بشرتها فتساجر بجسدها كما يتاجر محبي الدين بكمارمه . وسر همت ايضاً . سر همت مثله ولا شك . أتلام تلك المسكينة يا ترى اذا قبلت حب من يخطب ودها كما لو كان حقها دون ان تبادله حبها . يخدعها فتخدعه . يهينها فتبهينه . يضحك منها فتضحك منه . والناس يحرقونها ويذرونها ولا يدركون الاسباب التي شوهت نفسها وقتلت فيها الصدق والطهر والوفاء .

ولا يحتفلون بتلك الاسباب وان ادر كوها .
 خلعت برنيطتها ثم نزعَت السلسلة من عنقها فرفعت الذخيرة الى فمها تقبلها
 وبينما هي واقفة امام المرأة تناجي تلك الذخيرة كان رجل قادمًا في
 ذاك الزقاق يعد الى يمينه الابواب . فوصل الى المقصود منها واذا بمحمودة
 جالسة على الاسكفة تحت القنديل وقد بدت اسنانه كالعاج المنقى يعد سببته
 ويستمتع متغنياً ببعض الاشعار على نغمات عود في الحارة المجاورة
 -- هذا بيت غصن البان ؟

-- نعم .

فهم الرجل بالدخول فاستوقفه محمود قائلاً -- حاجتك ايه ؟
 فدخل الرجل ولم يحتفل به فالحقه العبد وامسكه بحبيته
 -- تريد ايه يا شيخ ؟

فتفالت الرجل منه وضربه على وجهه ضربة الطقات نور عينيه فوقع الى
 الارض . فتركه يسن ويلهث ويسب وتقدم سريعاً فاذا هو في رواق صغير
 فيه توفرة متهدمة جافة بل نائمة لا صوت لها . والى يمينه باب ودرج يوصل
 الى الدور الثاني . فنظر الرجل الى الشبايك فيه فلم ير نوراً الا في واحد
 منها . فصعد الدرج ومحمود وراءه ينادي -- يا مرجانة ، يا مرجانة !
 وذهب تواء الى الترفة المنورة فوجد الباب مفتوحاً وغصن البان مدبرة
 تخلع ثيابها . فلما رأت الخيال الاسود منمكساً امامها في المرأة دمرت وصاحت
 مستجيوة . وسارعت الى الباب تقفله . ثم نادى من الشباك .

- يا محمود ، يا مرجانة ، يا مرجانة ، يا محمود !!
 فطماها الرجل من المخرج قائلاً
 — لا تخافي يا بنتي . ألسي ثيابك يا مريم وافتحي .
 — يا محمود . يا مرجانة . دهتكم داهية . من الغريب الواقف في

الباب ؟

- فجأً محمود ويده على عينه يصيح ويتوعد الغريب
 — يا بنتي يا مريم ، لا تخافي . انا القس جبرائيل . صدقتك القس
 جبرائيل مبارك . ألسي ثيابك وافتحي الباب .
 فسمع القس جبرائيل غصن البان تهمس اسمه همساً اشد من الصياح
 وساد داخل الفرقة سكوت عميق قصير . ثم قالت مخاطبة محموداً
 — دع الرجل يا محمود . رح ثم

- وبعد هنيهة فتحت الباب وقد ارتدت غلالة خضراء . ووقفت تحت
 العتبة كالتمثال لا تبدي حراكاً . نظرت الى الراهب نظرة جامدة باردة
 ثم قالت

- وماذا تبغني مني اليوم ؟
 — ما ابتغيه منذ خمس سنوات ولم ازل ابتغيه .
 — وكانت بعيتك قريبة منك فلم تنظر بها فكيف اذا اصبحت بعيدة
 عنك بعد السماء من الارض ؟
 — البعيد من الله اقرب اليه من القريب منه

— اتركني اذا قربة من الله .

ولاح في عينها بريق الشفاء المستتر وهي تنسم ابتسامة الحكيم . في
السين التي قضتها نائية عن رعيها ومرشدها — خارج السجن — في نعيم
الحياة وبؤسها نشأ فيها خلق الازدراء والتفوق فكان يخفي في بعض الاحيان
فطرتها الطيبة . زالت سذاجتها كما يزول لون الزهرة وشذاها اذا قطعت
وعرضت للشمس ، ولكن تلك الفريضة الحميدة كنت في قلبها كما تكمن
في الزهرة بذور الحياة الخالدة . والخلق المكتسب فيها — خلق الغواني
والمثلاث — منشأ الغرور والتفوق — خلق من يقن كل ليلة امام الناس
فسكرهن ضجبات الاستحسان والاعجاب — ذلك الخلق الاثيق الباهر
الكذوب خانها تلك الآونة ولم تكن لتستطيع ان تخفي ما جاش في صدرها
من جيشان الغم والاسى . فلما اجابت القس جبرائيل الجواب الذي خلته
قاطماً منحنياً عيس بها واجابها قائلاً
— ما جئت امازحك .

فارتعدت فرائصها وتساقطت منها حلى الغرور والتصنع كما تتساقط من
الاشجار ثمارها المتهرمة . فوقفت لا كفصن البان امام احد مريديها معتزة
شافئة بل كمريم الناصرية امام الله صاغرة خاشعة . نظرة من نظرات القسيس
القاسية احييت فيها حقيقة حالها . كأنه تناول الورد البالية فنفخ بها
فتطايرت تبالاتها ، بدت في قلبها العاري بذور الحقيقة الرائعة — بذور الحياة
الطاهرة . فمدت غصن البان يدها الى الراهب كأنها تقول — خذ ما تبقى

في قلبي وازرعه حيث شئت .
 — ما جئت امازحك .
 ثم قال دون ان يقترب منها — تعالى معي .
 — الى اين ؟
 — الى حيث اشاء .
 — سيدي القس جبرائيل .
 — ولا كلمة . هاتي يدك . ومد يده اليها
 — لي كلمة واحدة اقولها . ادخل يا مولاي . ادخل بيتي وان كان
 لا يليق بك .

واخذت يده فادخلته غرفتها واجلسته على الديوان امام سريرها . فاعتبرت
 الراهب هزة حين شاهد وجهها في نور القنديل . سبحانك اللهم . أنكذب
 المآثم ، أنتخطي ، الدعارة ؟ هذه النضارة وهذا الروق في وجهها . لقد زادت
 السنون جمالا . وليس في عينيها ولا في فمها أثر من آثار الخطيئة . الا ان
 نظراتها ولحجتها في بعض الاحايين كانت تزعجه .

— أجبت تنقذي مرة ثانية يا مولاي ؟ هل تعرف من انا الان ؟ لما
 هربت واياك الى طبريا كنت بنتا جني عليها فصارث اماً . اماً حزينة . ثم
 فررت من تلك البلاد ومنك هاربة . فنحضت حجاب الحياة راغبة طامحة
 مستهترة . نسيت ولدي ونسيتك الا في اوقات ال — نسيتك ونسيت قديم
 بلائي . قاتلت أهوائي واسترسلت في أهوائي . مذدت يدي الى الآثام

المحرمة الثمار التي اشتتها نفسي فقال الناس افي راقصة بشي . قانت من
 حاول هتك عرضي من يكرهم قلبي فقلوبني . لقيت منهم الويل والبلاء .
 وقال الناس . هذا الترفع كذب وهذا التمنع صاغته حيل النساء ! رأوني
 ساعة استهتاري ولم يروني في ساعات عذابي . رأوني راقصة بغيًا . ولم يروا
 ما في قلبي من الاماني العالية والمطامع الشريفة . فكرهت نفسي الرجال
 وطردت من قلبي الحب وذكره . الا ان زوايا هذا القلب الكبير - في
 زوايا المظلمة الباردة - شيئاً واحداً اعزه واقده واهدي به . شيئاً واحداً
 يشفع في امامك وامام الله . ابي القس جبرائيل . مولاي . منقذي . لا
 تنتظر الي غضباً . عبوساً . اخاف هاته النظرات . ترجفني كلماتك .
 سامحني . ارحمني . اوث لي لحي .

خرت غصن البان امامه جائئة وحطمت تقبل يديه وتنتظر اليه تارة
 خاشعة حزينة وتارة بهيبة غانجة . نفس مريم في قلب غصن البان . قلب
 غصن البان في نفس مريم . انما هذه المرأة التي خرّت امام القس جبرائيل
 جائئة فاستزنته كلماتها . وازعجته حركاتها . وعذبت منها تلك النظرات
 المريبة . وارتعشت جوارحه من قبالتها الحارة . فابعدها عنه قائلاً . انهضي
 انهضي . وسيري معي .

- لا . لا . اليك عني . دعني في بلائي . في وحدتي - في وحشتي .
 ان يدلك لا تصل الي لتنقذي ثانية . واذا حاولت ذلك قد تسقط معي . سر
 في سبيلك . ودعني في شقائي .

— إني لا أعرف ما في قلبك وما ليس في قلبك امشي معي

— مستحيل • مستحيل •

— امشي قدامي

واخذها بيدها فتفالت منه نافرة حائرة •

— اليلاء المحيى اليوم في خير من التساوة التي نمد الي يدها • الشقاء

المكتنفني خير من تبرد كلماتك •

— السعادة تناديك وتنتظر قدومك • امشي معي •

— ولكن رسول السعادة لا يكون ظالماً قاسياً •

-- مخطئة انت

— برهانك • برهانك اني مخطئة • أنظرت الى ما في اعماق قلبي وبشيت

له • أأريك ما لم ازل اقدسك فلا تعفل به ؟

— ومن قال لك ذلك يا مريم ؟ ان اوهامك باطلة • انظري الي •

تقدمي مني • أسألك عن هذه الذخيرة وهي بادية لناظري • عزيزة عندي

كرامة مقدسة •

واخذ الذخيرة يقبلها ويقول في نفسه — رحمة الله عليك يا ساره

فلاحت اذ ذاك في وجه غصن البان ابتسامة السرور والرضى وسكنت هنيهة •

ثم اخذت يديه بيديها وقالت

— لا تقسائي • لا تظلمني • لا تعاملني كمن ظفر بالحباء فاذلها • عاملني

اكن يعجب الحياة وان اذله • مولاي القيس جبرائيل • انا رهينة اشارتك •

أنا خاتم في بصرلك • ولكنني لا أجسر اليوم إن أسألك ما سألتك مرة • تقدم
أفقد الخبر سذاجتي • فصررت أخشى ما أعلم وما أجعل • أفت تعرف ما
أريد • أنت تدرك بنيتي القصوى • فقد حفظتها مقدسة هذه السنوات كلها •
وكنيت في نعيم الحياة شقية حزينة • كنت أبكي وانتحب حين تعتريني
لذكره هزة الشوق • ولدي • ولدي •

— سيري ممي فيكون لك ما تبتغين • السعادة تبادلك • وتنتظر قدومك

— إلى حيث شئت • إلى حيث تريد • حتى إلى الجحيم •

— نحن الآن في الجحيم • اسرعي • اسرعي نخرج منه •

— الآن ؟

— الآن • هذه الساعة • هذه الدقيقة •

— وبيتي وامعتني و—

— غداً يجي • من يعتني بذلك • انفضي الآن يدك من كل شيء • وسيري

معي إلى بيتي • دعي خادمك نائمة • وخادمك • ألسي • أيقيك • حواء

الليل البارد — اقفلي الباب • هاتني المفتاح •

— بارك الله فيك

ومشت وألقت جبرائيل إلى منعطف الجادة فإذا بعربة تنتظر هناك •

فركبت وإياه وراح الحوذي يخط خيله إلى الجزيرة ومنها إلى ناحية الأهرام •

وبعد سير ساعة وما يزيد وقفت العربة فترجل القس جبرائيل وصرفت الحوذي

ودخل ونصن ألبان في بستان من التخليل ماشين بممرعين جنباً إلى

— الى اين يا قيس جبرائيل ؟

— الى بيتي .

— وبلي هذه الظلمة مخيفة مرعبة .

اجتازا في ذاك البستان الى الصحراء فاصبحا بيمدين عن الحقل والسبل
فيها . ضلّ القس جبرائيل الطريق تاء ورفيقته في البادية . في بحر من
الرمال وبحر من الظلمة . مشيا ساعة فاصياهما المشي . فرمت لحصن البان
بنفسها على الرمل تن من التعب والخوف .

— اين بيتك يا قس جبرائيل . ربي ! ما عساك تصنع ؟ الى اين . آم
ما ألطف هذا الهواء — دعني استريح قليلاً . اجلس تستريح . اجلس هنا
الى جانبي . هواء الليل منعش وظلمة الليل اذا كنت قربي لا تخيفني
وقف القس جبرائيل وقد احس من نفسه وهناً — ينظر غرباً وشرقاً وجنوباً
وشمالاً يسأل الله الهداية ولكن البادية كلها طريق والليل كله طريق اخرى
ولا حاجز في الطريقين ولا حد لهما .

— انهضي يا بنتي . امشي امشي . الله معنا . ها قد تراءت لي ظلمة
اشد ظلاماً من الليل واقفة كالطود هناك . هذا الهرم . لله ! ما اقرب الطريق
الى الجحيم وما ابعدها منه . ما اقصرها ذهاباً وما اطولها اياباً
واستأنفت زرفيقته السرى ثم وقفت فجأة يستند رأسه بيديه من صداع
بل دوكر اصابه .

— ما بالكَ يا قس جبرائيل ؟ لماذا لا تجلس قليلاً فتستريح . دعنا ننتظر

هنا ريشا يطلع الفجر • النوم على الرمل تحت السماء لذيذ •
 — امشي يا بنتي امشي • هذا الحرم قد اهتدينا الى الطريق وقريباً نصل
 الى البيت •

وهب اذ ذاك الهواء البارد رسول الفجر فجعل يصفر في فخاريب حجارة
 الحرم فيستحيل صفيره صياحاً بشرياً وعويلاً • فخيّل الى القس جبرائيل
 لما اشتراه من العبياء والدوار أن اناساً هناك يقهقهون ويضحكون منه بل سمع
 اصواتاً تقول

— صفقوا للناسك ! قد فاز بقوت قلبه

— حيوا الناسك وعروسه !

— خذوا الدفوف واضربوا وارقصوا !

وكان صدى العويل والصفير يتراجع في هبوب الرياح • فسمع الراهب
 تلك الاصوات حول الحرم كأنها اصوات خارجة منه •

— لو أحبها لرحمها • لتركها تنعم في حبسها

— لو أحبها لعاش واياها هناك

— لو أحبها لقتلها •

— تبارك ضلاله ! وتباركت اوهامها !

— خذوا الدفوف واضربوا وارقصوا ...

هذأت الريح قليلاً ولم يهدأ ما اثارته في قلب القس جبرائيل من الهواجس
 والاوهام • فقبض على يد غصن آتبان وقد تصور انها تحاول الفرار منه واسرع

في مشيه . لقد سمع أصواتاً لم تسمها ، ولكنها أحسبت باضطرابه وسعت
تنهداته ، وكادت نار يده تحرق ممصها .

— ما بالك يا قيس جبرائيل ؟ ما بالك ؟

— لا شيء ، زرعج يا بنتي ، لا شيء .

ولكنه كان يسائل نفسه قائلاً

— وما هي يا ترى هذه الأصوات المزعجة ؟ أنضحك الاموات منا ؟

أتندرنى بعبوط مسماي ؟

— يا قيس جبرائيل . . .

— وصلنا يا بنتي ، وصلنا .

وما كاد يتقف في باب كوخه حتى تراهى له خيال ايض حول رأسه

هالة من النور . فسمعه يقول .

— انا الرحمة . انا المحبة . من يبيت نفسه يحبها . ومن يحيي نفسه

أخرى يحيي نفسه .

دخل الى الكوخ يرتعد وجلاً ونصن البان لم تزل في قبضته . فاحسها

على مرتبة من الخشب فيه واشعل القنديل

— هذا سريرك . نامي يا بنتي ، لقد اصابك المشي واراك ترتعد بين برداً .

نامي قليلاً

ثم خلع جبته وغطاها بها .

— نامي قليلاً لتقوى على السفر غداً .

ثم اطفأ القنديل وخرج من الكوخ ، فجلست غصن البان على تلك الدرتبة
ورأسها بين يديها تفكر في مصيرها ، والقس جبرائيل يتمشى على الرمل قلقاً
معذباً يردد ما سمعه الوهم من اصوات الليل والقبور .

— لو أحبيتها لتركها في الجحيم ! لو أحبيتها لاقمت واياها هناك . لو
أحبيتها لقتلتها ! شياطين الجحيم ! أتبعني لنهزأ بي ، لتسخر مني ، لتضحك من
مسعاي . هيهات هيهات ! أواه ، رأسي يلتهب وهواء القجر لا ينعشي — من
أماث نفسه أحياها . من قتل نفسه أحياها . رب الاكوان ! ان نجوئك
ورمالك لتخفي الصغير والكبير من أسرارك . من أحى نفساً أخرى أحى
نفسه . والنفس اذا عادت اليها حياتها الدنيا عادت الرغبات معها والامواء
والشهوات . كانت مريم ضالة فوجدت . ومن وجدها ؟ من انقذها ؟
من ذا الذي عاد بها الى الحياة — الى مطهر القلوب ؟ انا الفقير اليك يا ربي .
فهل ينبغي لي ان اقتل النفس الجديدة في — تلك التي أحبيتها ، لك المجد ،
بتحقيق آمالي وتوفيق مسعاي ؟ لم نزل نظن ان الذخيرة مني . مسكينة
واهمة . ساكشف لها السر . سأطلعها عليه . نتكرهني لذلك ، تلعنني ، وقد
فتنلت من يدي فيحقق مسعاي ثانية . ما العمل ! ما العمل ؟

جلس على الرمل قبالة الكوخ يتأمل الربع الاخير من القمر وقد ظهر في
الافق فوق الرمال يرفع سحفاً من سجوف الظلام . واقبلت طلائع الفجر
الاولى تتوارد الليل تتميزت الصحراء والسهول وبدت رؤوس النخيل قرب
المرم كما حمال من الرتم حول الاتون . وهب نسيم الفجر فانعش الراهب

وحدد فيه المزم والنبات .

— سنسافر اليوم . سنسافر اليوم

ورفع رأسه فاذا بفصن البان واقفة في باب الكوخ تنظر اليه ، والقمر
يشير وجهها ، والنسيم يداعب شعرها . فنادته بصوت متلجج مضطرب ودت
« مخاطبة قائلة

— فلننتك هجرتي . وقد تفعل . من يعلم . اسمح يا قس جبرائيل .
احب ان اعرف الى اين ذاهب بي . وما الغاية من سعيتك هذا ؟ أتريد ان
تنقذني من موبقات المدينة ؟ هذا مستحيل . الموبقات ليست في المدينة بل
في قلبي . رح يا سيدي في سبيلك . ودعني اعود الى شقائي ، الى يوسفي ،
الى وحدتي — الى جحيمي . لا تقترب مني ادنسك . يدي ملطخة بالاثم .
جسمي مدهون بزيت الفحش والعار . في صدري تعتدم نيران الشهوات .
في عيني رماد كان بالامس نار رغبات سلاوية . في شعري سم قبالمة
العشاق والمحبين . لا تقترب مني ادنسك . سر في سبيلك . عُد الى نعيمك .
ودعني أعود الى جحيمي .

— سنسافر اليوم . هذه الساعة ان شئت . الى طبريا حيث السعادة
تنتظرك . تناديك من تلك الارض المقدسة . لا تسترلي في الالهام .
وطدي ثقتك بالله . لا توتائي ...

— ارتاب في انك صليبي .

— وستسافرين معي الى طبريا فتلتقيان هناك ومن نجينه .

- ومن احبه ؟ عساك تعلم بزواجي . انت مخطي . ليست غصن
البان تلك الفتاة مريم التي كنت تعرفها . خاطرك الوداع . ادعوك بالتوفيق
حيث سرت . وحيث حلت .

وهمت بالذهاب فامسكها القس جبرائيل بيدها ووقفها .

- اتركني !

- قف قليلاً . ادخلي . اسمعي كلتي الاخيرة .

- لا . لا .

فجرها الى الباب فوقفت هناك مشمعة متبردة .

- دعني اذهب في سبلي

- عبثاً تحاولين التفلت من يدي

- اتركني . لا اكرهني .

فضغط على معصمها فصرخت متأوهة وألتوت تحت وجهه الناظر الى
وجهها كغصن هصرته الرياح . فتهض بها حتى كاد خدها يلامس لحيته ،
وهو ينظر اليها بعين لاح فيها وميض الشهوة التي طالما خدعتها فاصبحت بين
يديه كالمصفور رماء الصائد ، لا تبدي حراكاً . فحملها الى داخل الكوخ
وهي ترتعد برداً وحباً وجزعاً . وما لبثت ان اغشي عليها . فمددها القس
جبرائيل على المرتبة وطقق بفرك يديها ورجليها ويناديهما باسمها معلنناً مطايعاً
وفي تلك الساعة دخل القس بولص عمون قادماً من البلد . فوقفت في
الباب والقس جبرائيل مدبر يعالج غصن البان .

-- المجند لله يا ابني .

فالتفت القس جبرائيل مدعورا واذا شاهد اخاه القس بولص تنفس الصعداء
 -- جئت في وقتك . هذه الابنة مريم ابنتنا . لقد اغمى عليها من شدة
 التعب . ساعدني لتعيد اليها رشدها . تقدم . افرك رجليها .
 فدنا القس بولص ينظر الى وجهها فشاهد الذخيرة على صدرها فتأملها
 فاذا هي بعينها تلك الذخيرة التي اعطاها الى امها ساره يوم كانت حاملا .
 فتقبلها وقبل مريم هاتفاً .

-- بنتي ! بنتي ! سبحانك اللهم . ارحمني يا ربي وارحمها .
 جمد الدم في عروق القس جبرائيل ووقف كالشبح بين البست والراهب
 محملاً .

-- وهل انت الاخ ايلياس

-- نعم انا ايلياس البلان . انا هو .
 فصفق القس جبرائيل كفاً على كف معجباً مبتهجاً . ثم بسط ذراعيه
 الى القس بولص . فضمه اليه يقبله ويقول
 -- غفر الله ذنوبنا اجمعين . لقد سامحتك ساره وغفرت ذنبك وهي
 على فراش الموت . يا مريم . يا مريم . استغفري يا بنتي ، استغفري . افرحي
 تهالي . فما قد ظهر قسم من عاذتك . ها هوذا ابوك .

-- ابني ابني .

-- نعم ابوك .

فأيقظتها الدهشة وجلست تنظر الى الراهبين حائرة باثرة

— اي ابن ابي ؟ من هو ابي ؟

فضسبها القس بولفس اليه هاتفاً

— بنتي الحبيبة ، بنتي مريم ! أجبوا امام أمك فيك . اسأل الله ان يغفر

ذنبي . رحم الله أمك . يغفر الله ذنبي .

وضمها اليه وطفق يقبلها مبهجاً ، مضطرباً ، باكياً .

- الفصل الثاني والعشرون -

على شاطئ البحيرة عند تلحوم امرأة تناهز الأربعين من العمر تحدث
أحد النوتيين، وولد صغير صبوح الوجه أشقر الشعر حاد النظرات أنيق الثياب
لا يتجاوز الرابعة من سنه يلعب على الرمل ويراقب القوارب القادمة من
طهريا ومسح .

- يا لطيفة ، يا لطيفة . زات السحتولا .

فادارت المرأة وجهها واذا بالصبي قريب من الماء . فصاحت به مذعورة
- فريد . فريد ! يا ربي . يا مريم العذرا ! وركضت اليه تجذبه بيده
وتضربه عليها .

- قلت لك ألف مرة لا تقترب من الموج . قم فوجع الى البيت . ما
حياة أحد اليوم .

فصرخ فريد متأوها وجلس على الرمل يقبض على رجله بيده كأنها
حرة أو جرحته .

- عرفت حيلتك . قم يا جيبى . قم اركب على ظهري .
فركب فريد ضاحكاً مشتماً . وعادت به الى البيت - بيت اتيس جبرائيل
في السهل وهي تغني له -

والدوم وبلي عالدوم
 راحت يا حرام الشوم
 راحت لكن راح ترجع
 راح ترجع صباح اليوم

ولكنها لم نعد لا صباح ذاك اليوم ولا صباح تواليه . فماتت لطيفة
 الانتظار . واشفاقاً على فريد من الخطر في لعبه قرب الماء لم تجبى به بعد ثم
 الى شاطئ البحيرة .

-- اليوم تطلع الى الربوة وتأخذ العنزة معنا

— والسلة للهندبا أنا احملها .

— طيب احمل السلة واركب على ظهري .

— اتعبنا صبرك . مباره وزعتيني . سدتني بيدي كتيل .

— مليح . اركب على كتفي . على رقبتني . الله يجيرني منك .

— امسي يا لطيفه . بكله اغني عاقبرك .

— وانيوم غن لي عالدوم . غن .

فجعل فريد يردد بلثثة الاطفال الجميلة —

عالدوم وبلي على الدوم

لاحت يا هلام السوم

لاحت لكن لاه تلزع

لا لاه تلزع صباح اليوم

— يسلم فمك • ومن يرجع يا حبيبي ؟

— الماما •

— واين هي الماما ؟

— الماما بصل •

— وانت مشتاق اليها ؟

— كتيل • كتيل •

— ولما نجي ، ماذا تقول لما ؟

— قلا — يا ماما العنب استوى ويطالع معا علكم وبتطفلا العشود

— الصليب حولك • الصليب حولك •

— غني انت • غني — وطلعت عالاس الزبل •

وجعلت لطيفة تغني له الاغاني والاهازيج وهي في الحقل تملأ سائها

من الهندباء ، وهو يختار من عسيب العفص اطرى الاغصان ويلقمها العنزة

وفي ذات يوم بينما كان عائداً الى البيت راكباً على شق لطيفة يهزرجليه

وبني « عالموم » رأى قارباً في البصرة بعيداً فهنف قائلاً

— سخطولا • سخطولا • زات الماما • زات الماما •

وظل يلح ويبكي حتى جاءت به لطيفة ذاك اليوم الى « فلهوم » أي

كفرتاحوم • ولبت تنتظر قدوم القوارب من طبريا • فجلست واياه على

الشاطئ • نجس له الاصداف تعلمه بها • ولما وصل احد القوارب ونزل منه

بعض الافرنج المقيمين في دير تلك النواحي طفق فريد يبكي • ورمى فيا

البحيرة غيظاً كبل ما جمسته لطيفة من الصدف .

— لا نحدد يا حبيبي ، لا نيك . غداً تحيي الماما . قم فارجع اليوم
الى البيت .

وما كادت تجتاز وياه الشاطئ ، حتى سمعت صوتاً يناديها — يا لطيفة !
يا لطيفة ! فتلقت ملبية كأنها عرفت صاحب الصوت . واذا بقارب آخر
يقبل امرأة وراهبين وبضعة صناديق من الامتعة . فمادت تركض والصغير
على ظهرها يحثها من شدة الفرح برجليه . ويصبح
— الماما . الماما .

ولقد أعد القس جبرائيل مريم لهذه الدهشة المفرحة العظيمة قبل السفر
من مصر . فقص عليها قصة الطفل منذ سرق تلك الليلة الى يوم استرجاعه
من الشقية ام هيلانة والقائها في السجن . ولولا ولدها ما عادت مريم وياه
الى فلسطين .

ولما اقترب القارب من الشاطئ ، قال القس جبرائيل مخاطب مريم
— البحيرة التي مشى عليها السيد انما هي ام المعجائب . سابتك ابنتك
طفلاً رضيعاً فأعادته اليك صبياً هيجاً . ها هو فريد ابن البحيرة تحمله
رفيتك القديمة لطيفة . اسميه يناديك .

وكان فريد على الشاطئ . يرقص ويشير يديه متادياً الماما . فلما وطأت
اهم النرى ركض اليها باسطاً ذراعيه فتعنت بعنتها يقبلها ويقول — ابن كنت
يا ماما ؟ وهي تقبله وتبكي . جلست على الرمل وأجلسته في حجرها تحنجه

ينظرها منصنة الى كلماته وسوء الآلة لا تدري ما تقول • فاصابها من شدة
التهييج والبهكة نوبة سعال دامت بضغ دقائق • فاستد القس جبرائيل الصبي
واسعف القس بولص ابنته وسار الجميع نوا الى البيت •

وفي تلك الليلة نامت مريم تضم ابنها الى صدرها وهي تحس بلذة جديدة
بيجة عجيبة أسكنت جوارحها وضمت جراح قلبها •
وفي الصباح باكراً نهض فريد يوقظ أمه ويقول
— ماما استوى العنب • اطلمي اقطفلك العنبود •

فنهضت تداعبه وتلاعبه ونضسه الى صدرها وتقبله • وجاءت به الى
فناء البيت تحمله على ذراعها فأحست من نفسها وهناً •
— لا استطيع ان احملك يا حبيبي •

— انا أمسي عليكلم •

— سنطلع الى الكرم يا عمري • تعال قبلي •

فركض فريد اليها يعانقها ثم قبلها في فمها • فابعدهت تقول — لا • لا •
قبلي هنا (مشيرة الى خدها) وهنا (مشيرة الى عنقها) •
ثم ابعدهت منها قيد ذراع وهي تنظر اليه بعين كثيبة حزينة تفرق
الدمع فيها •

ودخلت اذ ذاك لطيفة تحمل طبقاً من القس عليه الخبز والجبن والزيتون
والسل والقريش ومقلاة فيها بيضات مقلية وسفود • ان الشواء فألقت الطبق
على طاولة قرب الديوان وهي تتخاطب مريم •

... لا تبوء اخذيني اذا ناديتك حسب العادة القديمة باسمك . لقد سمعت
بما كنت فيه من العز بمصر وفرحت كثيراً ولكنك دائماً تلك المربع عندي .
سبحان من يغير ولا يتغير . أنسيت لطيفة العشي التي كانت تلعب واياك
« البوكو » ؟ أتذكرين تلك الليالي والقولات ، والأزهار التي حرقتها ، والـ
فقاطعتها مريم تقول

— لا تذكريني بتلك الايام يا لطيفة ...
— وما بالك تبكين يا بنتي . انت اعز من بنتي . أتبكين فرحاً للقاء
فريد . يحق لك . لولائي ...
— علمت بفضلك يا لطيفة . وانا شاكرة لك ممتنة .
— واذا غبت يوماً واحداً عن فريد يضيع عقلي .
واخذت الصغير بين ذراعيها وطفقت تقبله وتردد النكات التي يسر بها
— غنر للماما يا حبيبي غنر لها — وطلعت عاراس الجبل .
فوقف فريد قدام أمه وهو يجول بنظره فرحاً بينها وبين الطابخة ويشير
بيديه وبرأسه اشارات لطيفة فثانة .

وطلعت عاراس الزبل

اسلف على البهلا

وسمعت الممام ينوء

ينوء على البهلا

قلت لو يا همام

صلي صلاتك ونام ...

صلي صلاتك ونام ...

... كل كل . أنسيتها ؟ راحت ...

... بلى . بلى . اسكتي

قلت لو يا حمام

صلي صلاتك ونام

لا هت امك تسوء

الله يعطيك خيلا .

ونظر الى أمه فرآها تضحك وتسبح بالمندبل عينيها . ثم ركضت اليه

فجثت امامه وطوقته بذراعيها تقبله هانفة

— ولدي ، حبيبي ، حياتي ، مهجتي ، نور عيني .

ثم تبعده عنها قليلا فتحدق فيه كأنها تنظر الى شيء عزيز توارى عنها

ثم تضمه اليها بسرعة متلطفة كأنها تحميه من حيوان يحاول اقتراسه

— ماما ، قومي نطلع علكلم .

فاخذته لطيفة وأجلسته على الكرسي قائمة

— بعد الفطور يا حبيبي . تقدمي يا بنتي قبل ان يبرد اللحم والبيضات

فجلست مريم الى المائدة تلثم ابنها وتحاول اشحاذ شبيبتها بشيء من

عسل بلادها وقريشه . ولم تأكل الا قليلا .

ثم نهضت مستسلمة الى فريدقة . خرج من البيت يجبر لطيفة بذيلها .

فحصلته على ظهرها ومشت قدام مريم الى الكرم . فاعترتها في الطريق نوبة
سعال شديدة وردت منها الوجدتين وأخفت هنية بعدة عينها .
وبينا هي وولدها ولطفة في الكرم . كان القيس جبرائيل والقيس بولس
يتحدثان بشأنها .

— لا يجوز ان تقيم هنا .

— سننقلها الى لبنان بعد ان يتم ما حدثتك به وعليك ان تساعدني .
فان في الزواج خلاصها وسعادتها .
— وهل ابن اخيك راغب ؟

— بل مصر وملح في ذلك . وقد انبأته برجوعنا وسيجيء من حيثنا
اليوم او غدا .

— واذا كانت لا تريد ما نريده لها .

— لا أشك في انها ترضى بما فيه خيرها . وفي كل حال كنت ناصحاً لها
مرشداً مثلي . حبيب اليها الزواج . فانه نافع لها ولابنها ولوالده . بل لازم
متحتم . هو الحق الذي ليس غير الخير فيه . زواجاً بابن اخي عارف يرفع
عن الولد ذنباً ليس ذنبه يزبل من حياته ظلمات الفس ولفطخة العار . وعارف
في هذا العمل يكفر عن الله . ومريم تصادف فيه ولا شك زوجاً فاضلاً
محباً كريمة عطفواً جنوناً . لقد هذبته الذهر وعلمته تجارب الأيام . لقد
أصلح الشاب شأنه .

— ولكن مريم . . .

— حب في مخطئ، في ظني فليست متحولاً عن عزمي . زواجهما لازم ضروري ، متحتم عليهما . ينبغي ان يكون للولد أب معروف فلا يلعنه في مستقبل حياته . ينبغي ان يتزوج عارف بريم ليفخر الله ذنبه ، ولا يهمني عاشت واياها بعدئذ أم لم تعيش . الحق يا قس بولص حق الله يعلو ولا يعلى عليه . والعدل قبل السعادة . العدل فوق السعادة . . .

جلست مريم تحت الدالية تنظر الى السهل المنبسط امامها والى البحيرة الزرقاء الراكدة وقد ظللتها شمس الصباح بظلال الجبال القائمة حولها شرقاً وغرباً . لقد لقيت اباها ، ولقيت ابنها . ولم تكن تتوقع بعد هاته الدجشات المحزنة المبهجة ذهشة اخرى . لم تكن تعلم بما يضره لما القس جبرائيل وما تكشفه لها مخبات الزمان .

— وماذا يهمني ابي ؟ اذا جهرت به اذا ادعيته أفضحه . فينبغي ان انساه اما القس جبرائيل فقد صنع صنعا جيلا ليس في امكان بشر ان يكافئه عليه . صحيح . صحيح . ولكني مع ذلك اكرهه . خدعني مرتين . عذبتني ليخلصني بما يظنه انما فرماني بما هو أشد عذاباً وويلاً . ومرضني من يخلصني منه ؟ جاء بي الى هذه الديار القاصية — الى هذا الغور المهلك ليجمعني بابني . وكان في امكانه ان يستصعبه الى مصر . ان في كل ما يصنعه شيئاً غامضاً خفياً . سرى بدل ثلثي حب الذات والكبرياء والاعتداد بالنفس . يكسر قلوب الناس ليتيم رأيهم . يزدرى اشياء الغير ليعزز اشياءه . يجر ثلثي الناس الويل والبلاء باسم « الحق الساوي » وباسم الله . فينبغي ان انساه ايضاً . ساشكره

في الآخرة يوم أقف امام الرب الهى . آه ما أمر الحياة ! لقيت والدي فلذة
 كبدي ولا استطيع ان أفرح ببقائه . لقيت والدي وكأنني لقيت عدوي .
 ألم يكن عدو أمي ؟ أكنت شقيت يا ترى لولاه ؟ أكنت لقيت من الحياة
 أمراً لو انه أحب أمي واكرمها فاحضنتني ورعتني بالتربية . قذف بي الى
 هذا العالم وفرّ هارباً . جبان رعديد ! لئيم ائيم ! يستحق الذبح . . . وأين
 أبوك انت يا مهجتي ، يا حياتي ! أنجمع به يا ترى بعد موتي كما اجتمعت
 امك بك فازدادت حزناً وغماً ؟ معلمي عارف افندي ! ابن الاكابر ! الاديب
 السري ! وبل الشبان امثالك . . . ولكني أحبته فجنني علي . أحبته حباً
 فضحك مني عليه . كنت ساذجة في تلك الايام . وخطيئي الكبرى انني
 اذا احببت أحب حباً لا يدرك حدوداً ولا يعرف خداعاً . لو علمت اليوم
 مكره لذهبت اليه وولدي بيد والخنجر باليد الاخرى . شقيت الام فلا يجوز
 ان يشقى ابنها . لا ، وحياة الله !

بمثل هذه الافكار كانت تزيد نفسها اضطراباً وغمها غماً . ولا ريب ان
 اشتداد وطأ المرض عليها اظلم قوادها وحرّمها لذة العطف والحنان
 — الحياة لعنة في الارض — هذا أحسن ما قاله القس جبرائيل . فالجميل
 في الحياة انما هو الطعم في شبكة الصائد . اللذات حباتل واشراك مهلكة .
 والبعد عن اللذات عذاب لا يطاق . ما العمل اذا ، ما العمل ؟ الحياة لعنة
 في الارض .

ولما وصلت الى البيت عائدة من الكرم وولدها بأهلها ابوها

— لِمَ أَنْتِ مُضْطَرَّةٌ كَثِيبَةٌ ؟

فَلِمَ تَجِبُهُ • دَخَلْتُ إِلَى الْبَيْتِ وَرَمْتُ بِنَفْسِي عَلَى الدِّيْوَانِ وَقَدْ أَحْيَاها
الْمَشْيُ ، وَأَظْلَمَ وَجْهَهَا وَقَلْبَهَا وَنَفْسَهَا مِنَ التَّامَلَاتِ الْمُحْزَنَةِ • فَاقْتَرَبَ مِنْهَا
الْقَيْسُ بِوَلِصٍ يَطَايِبُهَا وَيُطْمَئِنُّهَا وَيَمْسَحُ بِمَنْدِيلِهِ الْعَرَقَ الْمَتَصِيبَ مِنْ جَبِينِهَا
— لَا تَخَافِي يَا بَنَّتِي •

فَقَالَتْ عَلَى الْغُورِ كَأَنَّمَا تُضْرِبُهُ فَمَا تَقُولُ

— لَسْتُ بِبَنَّتِكَ • لَوْ كُنْتُ أَبِي لَمَا تَرَكْتُكِ أَشْقَى •

— أَخْطَأْتُ يَا بَنَّتِي وَنَدِمْتُ عَلَى خَطِيئَتِي

— وَمَا نَفَعَ النَّدَمَ وَقَدْ جَوِزْتَ أَنَا بِحُلِيِّ فَعَلْتُكَ • عَشْرُونَ سَنَةً مِنَ الْبُؤْسِ
وَالْمَذَابِ وَالذَّلِّ تَقَاضَاها الدَّهْرُ مِنْ دَمِي وَلَحْمِي وَنَفْسِي وَفُؤَادِي لِقَاءَ
خَطِيئَتِكَ — ثَمَّنِ اثْنُكَ • مَا أَجِدُ هَذَا الدِّينَ دِينَكُمْ ! تَقْتَرِفُونَ الْمَآثِمَ وَتَعْبُرُونَ
الْبَلَاءَ تَحْتَى الْعِبَادَ وَتَمْلَأُونَ الْأَرْضَ فُسَاداً ثُمَّ تَلْبِسُونَ الْمَسْحَ وَتَذَرُونَ الرَّمَادَ
تَحْتَى رُؤُوسَكُمْ • ثُمَّ ...

— مَرْيَمُ ، مَرْيَمُ يَا بَنَّتِي !

وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى • خَنَقَتْهُ الْعِبْرَاتُ • وَلَكِنْ مَرْيَمُ لَمْ تَعْفَلْ بِهِ
— أَيُّ نَعَمَ • تَلْبِسُونَ الْمَسْحَ وَتَذَرُونَ تَحْتَى رُؤُوسَكُمْ الرَّمَادَ ثُمَّ — هَلَلُوا •
هَلَلُوا • ادْخُلُوا مَجْدَ رَبِّكُمْ آمَنِينَ • وَاللَّهِ لَا ذِيْعَتَكَ وَادْخُلْ أَبْنِي وَادْخُلْ وَالِدَهُ
لَوْ أَكَانَ لِي أَنْ أَرَاهُ • وَأَلْبَسَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَسْحَ وَادْخُلْ تَحْتَى رَأْسِي الرَّمَادَ وَاعْيَشْ
تَحْتَى الْخُبْزِ الْمَبْلُوطِ بِالْمَاءِ قَامُوتِ قَدِيْسَةٍ وَادْخُلْ مَهَلَّةَ مَجْدِ رَبِّي • إِذَا كَانَتْ

الحياة لعنة في الأرض فمجد
اتركني • اليك عني •
بحوكة ذبيعة • دعني •

وخرجت الى المصطبة قد
وتأمل امرها ومصيرها •
فجلست هنالك تسند رأسها يديها

فلحقها القس جبرائيل واحذ يدها بيده فرفعت رأسها حاتمة ناقمة ثم
أحتته يائسة مستسلمة • فقال يخاطبها

— انهضي يا مريم وادخلي •
فمشت واباه نحو الفرقة •
انهضي يا مريم • انهضي الله معك

— ادخلي رضي الله عنك • نامي قليلاً •
الترقة • واطردني من قلبك مثل هذه الافكار التي جرحت بها قلب والدك •
استلقي على فراشك لقد اتعبتك

اطردني من فكرك كل ما يؤلمك ولا يعينك على الشفاء من مرضك • نامي
يا بنتي قليلاً تستريحين •

ثم جاء يخاطب القس بولص قائلاً
— لا تكلمها بالامر الذي تحدثنا به • دعني اعالجه واعالجها وحدي

- الفصل الثالث والعشرون -

دخل فريد الى البيت راكضاً بنادي الماما . فامسكه القس بولص
واجلسه على ركبته يقبله ويقول

- الماما نائمة الان . ألا تحبني يا ابني ؟

- ومن انت ؟

- انا ابوك .

فهز فريد رأسه مشككاً ثم قال

- لا . لا . عمي القس جبرائيل قلي البابا سائب ظليف

- صحيح يا ابني . واليوم نراه ان شاء الله .

- اليوم ؟ البابا ؟ البابا كمان ؟

وجعل يصفق بيديه طرباً .

- اي نعم .

- ومن اين بزي ؟

- من حيفا .

- واين حيفا ؟

- حيفا عند البحر .

- البحر في تلهموم ؟

— لا . لا . البحر بعيد .

فهز فريد رأسه عابساً .

— لا يزى البابا اليوم .

وكان الصغير مصيباً في ظنه . لان عارف مبارك سافر من حيفا ذلك
النهار الى الناصرة فبات في بيته هناك . وعول على ان ينهض باكراً فيركب
العربة الى طبريا فيصل الى بيت عمه في النور قرب الظهير . وليلة كان في
بيته بالناصرة قص على والديه بعض قصة مريم وابنها واخبرها بما هو عازم .
فسكت ابوه مطرقاً واستشاطت امه غيظاً .

— جننت يا عارف . والله بالله ! اذا فعلت هذه الفعلة — اذا تزوجت
بهذه الفتاة الساقطة لا ترى وجهي في ما بعد . رح اعمل ما تشاء . عملك
مجنون . وقد أصبت بعمى جنونه . ابن مبارك يتزوج براقصة ساقطة .
بل بخادمة من خادومات بيته . يا ربني يا ربني ! أي ذنب اقترفنا ليكون هذا
قصاصنا ؟ استخلفك بالله وباجدادك يا عارف ان تقلع عن قصدك — أن
تسمع كلمتي — أن تصل بارادتي . اكراماً لامك — الحزينة . عد الى
رشدك . ارجع غداً الى اشغالك بحيفا . اترك هذه الفتاة وشأنها . اتركها
لعمك القسيس للمجنون . هو يخلصها ببركانه وصلواته

فانتهرها زوجها قائلاً

— اسكتي يا امرأة . اسكتي . في الامر ما لا تدركينه انت . أليس

جبرائيل اعلم مني ومنك بما هو حق وما هو باطل . وعارف بعد هذا وذلك

براشد يحسن ادارة شؤونه بنفسه • هو الآن ولي امره • رح يا ابني • اصل
ما تشاء • وفقك الله !

— وانت ايضاً مجنون • انت ايضاً تريد ان ترمي بابنتك الى التهلكة ولا
تهلك الفضيحة والعار

فاتهرها زوجها ثانية فخرجت الست هند تسبه وتسب اخاه وتدعو على
ولدها وعليهما بالموت العاجل •

وفي صباح اليوم الثاني لما كان عارف راكباً العربية قاصداً طبريا جاء
القس جبرائيل يسأل مريم ان تراقبه في نزهة الى تلحوم ليربها خرائب تلك
البلد القديمة • وكان قد سكن جاش مريم ذاك الصباح سكوناً يتلو العواصف
أو يتقدمها منذراً بها • فحدثها القسيس في الطريق بما قد يكون اليوم من
امرها وكشف لها الاخير من سور السر المحجوب • فنظرت مريم الى ماء
وراءه ساكنة باهتة غير حافلة • وبعد ان فكرت قليلاً قالت لمحدثها

— عملت دائماً بما تشاء • فلا اقاوم اليوم ارادتك • انني راضية اكراماً
لولدي • سأقبله زوجاً لي وان كنت لا استطيع أن اعيش واياه

— بل ستمشين واياه سعيدة ان شاء الله • عارف يعشقك ولقد ذرف
الدموع فرحاً حين اطلعت على خبرك وبشرته برجعك

— ولقد كدت أغرق في بحر من دموع العشاق المغارعين • وبإيتك
لم تنقذني منه حية •

— انسي الماضي ماضيك يا مريم • انسي تلك الايام السوداء

فنظرت مريم اليه نظرة حادة محرقة وهنفت قائلة

— الماضى ؟ ماضى ؟ هو شبح مفزع يمشى امامي • بظلم الافق في
فاظري منه • بجس عني نور الشمس • يعود نفسي الى المداوية • الماضى
يا قس جبرائيل سوس ينخر في عظمي • لار تتأجج في دمي • نل يدب في
جسي • الماضى ؟ ليتك تعرف كيف تعيش المومسات — وقد دعيت بمصر
مومسة — ليتك تعرف كيف تعيش المومسات وكيف تموت القديسات
البارآت • تلبس البائسات الحرير فيظن انهن راتعات في بجوحه من العيش
باهرة زاهرة • وان لم يلبس الحرير يمتن جوعاً • حريرهن مسوحن •
والطيبوب التي يذرينها على شعورهن وصلورهن انما هي رماد التفتت
والتقوى • المومسة يا قس جبرائيل انما هي القديسة • تمشي وراء ماضيها
الى النار مستشهدة • وانا الان امشي وراء ماضى • ومهما كان من مستقبل
فان ما اساق اليه هو هو • لا ينقص بلاؤه ولا يزيد • انت يا قس جبرائيل
مخلصي وانت صليبي • قبلتك وحملتك صابرة راضية • ولكني لعنتك مراراً
في قلبي ولم ازل اكرهك

فحاول القسيس ان يسكن روحها ويعزبها ببعض كلمات ذاكرة مريم
المجدلية فنهضت عن الحجر الذي كانت جالسة عليه في ظل صفصافة قديمة
وغيظت التهكم واليأس يحتدم في ناظرها

— اي نعم • مريم المجدلية ! المومسة القديسة • شهيدة الايمان والغرام
والاوهام • وانا • انا • ..

ثم اشارت بيدها باسمه الى سلسيل من الماء قريباً
 - تفضل يا مولاي ، هذا الماء ، وهذي يدي وهذا شعري . تفضل يا مولاي
 الى الغدير - اظنك اليوم تبارك اكليلي . قبحمني اكليل الاستشهاد
 وضعتك ضحكة اعادت الالم الى جنبها واللمنة الى قمها . فاغضى
 القس جبرائيل على ما بدا من تفيظها وتجديفها وقام يناصها ويطايها وهو
 عائد واياها الى البيت .

وبينا هما عالمان كان قد وصل عارف من الناصرة فاستقبلته لطيفة لمحابة
 بيتهم القديمة وفريد الصغير .

يقال ان الغريزة اصدق من العقل . ولا ريب انها تصح غالباً بين الاباء
 والبنين . لما شاهد عارف الولد الذي لم يره قط حياته تسبه اليه وسأله عن
 الماما . وكان الصغير يحدجه بنظرات من نظرات الاطفال المبهمة كأنه
 يستطلع حقيقة امره . ثم قال وهو يقبل الغريب

- انت البابا ؟

- نعم يا ابني . انا البابا .

- الماما لاهت تسم الهواء مع عمي القس جيلال . وتغلت منه اذ شاهد
 امه ور كُض يلاقيا ويشرها بقدم ابيه وهو يصفق بيديه طرباً
 - يا ماما ، يا ماما . زأ ألبا ، زأ ألبا !

فوقفت مريم في الباب وألذمت واقفت في عروفتها تنظر الى الشاب الذي
 لم تشاهده منذ خمس سنوات نظرة الغريب القريب ، بل نظرة المهاجر المحب .

تتقدم اليها يقول

- اتسامحيني ؟ أتغفرين لي ؟

فاخنت مريم رأسها ولبثت ساكنة . فمدَّ عارف اليها يديه مستغفراً
مستطفاً .

- سامحيني . أغتفري . اصفحني .

فبدت على وجنتيها الدموع كالطلل على الورد وأخذت يده فاهلة ساكنة
واحثة . صافحته اليد منها ولم تصافحه النفس . وليس عارف ممن يشعرون
لاول وهلة بيشاشة النفس أو بهيجتها . فظلَّ قابضاً على يدها وتقدم وياها
فاجلسها على الديوان يعتذر اليها ويستغفرها .

فدبت كلماته في قلب مريم ديب النار المدخنة في جوانب البيت فادفأته
وأظلمته معاً . أحست بحضو طالما تآقت اليه في هذه الايام - حنو صافٍ
لا تمازجه النيات السافلة ولا يشوعه حب المكارم والمجمل - فقبضها
كالمصفة دفعة واحدة فضاقت منه صدرأ . على انه وإن كانت قد ضعفت
بل ضاعت ثقنها بالناس وصارت تخشى حتى المعروف منهم والاحسان رضيت
بما ساقته اليها الاقدار اكراماً لولدها

جلست على الديوان تنصت الى كلمات عارف ، معلمها السابق ، والد
ابنها ، خطيبها الان . ولم تغه بكلمة واحدة . وفي تلك الآونة دخل القس
بولص فسلم على عارف مبارك . فانبرأ القس جبرائيل يتمم واجبات التعريف
فانصطب على . فاراحه القس بولص من حيرته وتودده قائلاً

— اعرفك بنفسى — انا زوج ساره الراعية التي توفيت في الناصرة منذ
 خمس سنوات ، والفتاة الجالسة الى جنبك بتي .
 فبهت عارف لهذا الخبر وشرع يقلب نظره بمريم وبوالدها القسيس
 — لا تتمجب من جهري . من لا يخجل من الصدق امام الله لا يخجل
 منه امام الناس .

فقاطع القس جبرائيل الحديث قائلاً
 — دعونا من هذا الان . لقد اشرقت الشمس — شمس الحب والحق —
 وازفت الساعة . أترضى يا عارف مريم زوجة لك ؟
 — نعم . نعم .

— أترضين يا مريم عارفاً زوجاً لك ؟
 قلم تجب مريم فاعاد القسيس السؤال .
 — أقبليين عارف مبارك عريساً لك ؟
 — ولماذا تسألني ؟ ألم ابغ لك بسر قلبي . كمل عملك وارحني منك
 — سري عنك يا بتي خفتي من روعك . هذي ساعة فرحك . لتكمل
 مشيئة الله .

ونادى اذ ذلك أحيره ابا ابراهيم ولطفية فقال يخاطبهما
 — عندنا الآن عرس يا اولادي . كوني انت الاشيبنة يا لطيفة . وانت
 يا ابا ابراهيم الاشيبين .
 وبدأ القس جبرائيل بالصلاة . وكان فريد الصغير اثبات ذلك واقفاً

الى جنب امه تترك بردائها رصياً عيوساً جائراً بما هو جازر اعلمه . ولله
بارك القسيس اكليل العروسين ركض فريد الى لطيفة يقول
- الخلوف زاع . اسميه يمعق . روحي اطعميه . ثم جاء يقول لامه
- اطلعي نطلع عليك ونأخذ البابا معنا . العيب استوي . وانا انطلقه
المنقود .

فضحك القس جبرائيل معجباً وقال
- خذوا الحقيقة من هو . لا . الصغار . أجل لقد استوى العيب وحازر
وقت التعطف . ليبارككم الله ليبارككم الله .
فنفذت اليه مريم نظرة ودت لو انها خنجرأ في فؤاده .
ثم هناهما القس بولص وودعهما قائلاً
- اذا كنتم تستحيون بي فساخفي منذ الان وجهي وامرني عن الناس .
واقيم والقس جبرائيل متسكاً في هذه الديار .
- لا يا ابي لا . بل يجب ان تقيم معنا - معي انا . لا طاقة لي على
فراقك . سامحني ابي ، اغفر لي . لقد اهتكت وجرحت قلبك ساعة كنت
متألمة شديدة . سامحني .
واخذت يده تقبلها باكية . تقبلها القس بولص ووعدتها ان يقيم قربها
- اكراماً لامك واكراماً لك يا بنتي . ويا ليتني توقفت في شبابي الى
هذه السعادة التي انعم الله بها عليك يا عارف . ليتني الممت الى مثل شهامتك
ومروءتك ووفائك . بارككم الله وامتكم .

ثم قالت مريم مخاطبة زوجها
 - قم بنا نطلع الى الكرم اكراماً لفريد . اجعله على ظهرك . امشي قدامي
 على هبل . لا تسرع فالشي يتعبني .
 وبينما هم سائرون في البرية جلست تحت صفصافة تستريح وقد اعتبرت
 نوبة سمال شديدة . فسألها زوجها
 - أمن زمن تسعين ؟
 - هذا شهر . ولم تشد عليّ الوطأة الا في هذا الشهر .
 - وهل استشرت الطبيب ؟
 - لا نسل عما يزيد بالامي .
 ثم نهضت مستثشطة تظهر من الضعف قوة ومشت مصعدة حتى وصلت
 الى الكرم على رأس الجبل .
 - ما أبدع هذا النهار ، وما اجمل المشاهد حولنا ! تنيب الشمس فتودعنا
 حوائم البحيرة نائمة باكية . ثم تشرق فتستقبلها نائمة باكية . كأنها تدرك
 ما لا يدركه الانسان من اسرار الحياة وحفائى الوجود . انا نائمة يا عارف
 وانت قليل الحفظ ، سبي الطالع . عدت اليّ مستغفلاً مستغفراً يوم لا
 استحق ان ارى وجهك ولا ان اسمع كلماتك . لقد تدنس جسمي ، وتدنس
 قلبي ، وتدنس نفسي . آه اواه ! حياتي نعمة من فوح الحمام . حياتي
 قطرة من دم طائر مذبوح . حياتي شعاع من هذه الشمس النارية . شعاع
 لا يس الأرض فبدد نوره . نقطة دم امتزجت بالتراب فاعترها الفساد .

اغنية سمعتها آذان البشر فضحكت منها قلوب البشر . راقصة

فقاطعها فريد وهو قادم اليها يقول

— ماما . هذا عنقود للبابا .

— بخذه منه . هذا عنقود السعادة . اذا ظن على الدالية يبلي . واذا

قطف لا يدوم . بل هنا الصغير الحبيب عنقود سعادتنا . وبلاه ! لولاه اليوم

لكنت سميدة . لولاه لعرفت ما انبل ، لعرفت مصيري ، لقررت امري ،

لأنهيت حياتي .

— ما بالك يا حبيبتي ، ولم هذا اليأس ؟ اذا كان مرضك يقلق بالك

فمرضك ان شاء الله يزول . غدا اعوذ بك الى حيفا نستشير الطبيب . وان

كنت لا تحبين الاقامة هناك فاقم واياك حيث تشائين . تنتقل الى لبنان

— الى مصر — الى باريس — الى حيث يعمل قلبك .

— قلبي لا يميل الى شيء . كان قلبي نار موقدة فصار رماداً . وبلاه

الله في عيني كالغور . وحياتي كالتبع المالح الذي شاهدته اليوم ، الكامن

في الادغال تحيط به الدفلى وورق البردي والتصب والشوك . فاذا اخترقها

سالماً تشاهد غديراً يهيجاً مترقراً يركض الى البحيرة منشداً نشيد السرور ،

فتبتف قائلاً — ما اجمل وجهك في ظلال الدفلى والتصب . وما ابدع

صوتك في سكون الادغال . ولكنك اذا شربت منه تجد مباحه مزقة مألجة

— اكفالك من هذه الهمالات المحزنة . اكفالك من هذه الازحام ، تعالى

نشاهد من ذاك المطل مشهداً يزيل الاكدار ويهيج القلوب .

— ابن فريد ؟

ولمضت مريم مذعورة تتلفت منادية ابنها . فاجابها من تحت الدكة
ثم صعد الدرجة وجاء راكضاً هائفاً

— ماما . ماما . عصفول . عصفول .

وكان الولد قد رأى عصفوراً متفلتاً من قضيب نصبه هناك احد الصبيان
ولم يزل على جناحه شيء من الدبق فلحقه وأمسكه وجاء والديه يريهما اباء
بهجاً طرباً .

— عصفول عصفول . مسكته تحت الهنه .

فتأمله عارف وقال مخاطباً عروسه

— قلبك مثل جناح هذا العصفور . حفظ على قضيب الصائد ثم تغلب

ولم يزل الدبق عليه يئتمه من الطيران . لذلك انت حردة بائسة .

— وما اقل حظ من يسكنني ويفسل جناحي . تعال يا حبيبي نمشي والبايا

— ماما . بكاله اغسل العصفول واربطه بخيط .

— برافو فريد ، برافو ! لقد رد صغيرنا عليك وافحك . اركب على

ظهري . هات يديك . مكن رجليك . امشي قدامنا يا حبيبي فنامشيك .

على مهل . على مهل .

ولما وصلوا الى ذاك المشرف العالي بدت البلاد امامهم في حلة باهية
حاكتها شمس الغيب فاكسبت مروجها روثاً وآفاقها اتساعاً . هنا سهل
الغدير يزدهي ببساتينه وتترقق فيه الينابيع ماءً طهوراً ، وماءً اجاباً .

وهناك الى جوانب البحيرة جبال شامخة قائمة كالتقلاع على ضفاف البحار ،
وسواد احراجها وادغالها يستحيل من نور المغيب ازرقاقاً فاحمراراً فاصفراراً .
والبحيرة كالطفل على صدر امه هادئة ساكنة تنصت الى هديل الحمام
وتسمع فوق الهدبل حفيف اجنحة السور . وهناك شمالاً يبدو جبل الهرمل
ابيض اللثة يحبي الجبال المتوارية وراء قمة طايور . والشمس فوق الناصرة
المحبوبة عمن وقف فوق سهل الغوير تشع باسعتها الصفراء المائنة قبلاً
السهول المنورة حزناً ونصفر لفرقتها وجوه الربى . وفي هذه السكنة يسمع
الواقف على ذلك الجبل طنين اجراس الواشي عائدة الى زرائبها واجراس خيل
العربات في الطريق المختبئة تحت جفن الجبل .

فقلت مريم وهي في وسط ذا المشهد أجمل واحزن ما فيه - غروب
الشمس غروب الحياة .

ثم ضم فريد صوته الى اصوات الحمام والاجراس سائلاً

- بابا ، اين تلوه الشمس ؟

- تسوح في الارض يا حبيبي .

- وبكله تلزع ؟

- بلى .

- وليس تلوه الليالي اذا كانت بدءاً تلزع بأكمله . ما تتعب من المسير

في الليل ؟

فضحك ابوه وقال معلماً

— عدداً نغمها تبثت عندنا .

فضرب فريد كفاً على كف هائفاً

— ايوا . وبكله انام انا والسيس . انا اهب السيس .

فضمته امه الى صدرها وجعلت تقبله ضاحكة باكية .

ولما عادت واياه وزوجها الى البيت كان انفس بولص وانفس جبرائيل ينتظرانهم للعشاء . وكانت لطيفة قد أعدت لهم مائدة فضمة من سمك البحيرة المشوي والمقلي ولحم الضأن المطبوخ بالخمر والدجاج المحمر والارز المغفل والمحاشي والرمان المفروط بالسكر والجبن والعلل وتوابيها . تقدمت الالوان دفة واحدة على طبق كبير من النحاس الابيض الشامي المنقوش وهي تقول

— لو كنت احسن الكتابة يا بنتي مريم لكتبت لك لائحة الطعام .

تفضلوا .

ولم يفهم غير مريم هذه الاشارة . فاجست وشارت الى لطيفة ان اسكتي . وجلس الجميع على مساند الى المائدة ولطيفة وافقة تنتظر الاوامر وتقص عليهم بين الفصل والفصل من قصص فريد وعجائب ذكائه . وقد كان اصفاً مريم الى هذا الحديث اكثر من اكلها . وبعد العشاء قدمت القهوة وجاءت لطيفة باركيلة الى سيدها عارف افندي . وخرجت ومريم الى المصطبة قدام الباب نستشق الهواء . ثم حادت تقول لزوجها —
هكذا نساكر من هذه الديار . لا اقدر ان اعيش هنا . الوحشة تروغني . والحر

هلكني . اكاد اعتق .

— موء كد ، موء كد . سافر غداً .

ودخلت مريم الى غرفتها تخلع ثيابها . ثم جلست امام الشباك تتأمل
الظلمات المخيمة على السهول والجبال . وكان الليل ليل النور هادئاً خامداً
ساكناً لا يحركه من اصوات الارض غير خرير الينابيع التي لا تسمع فيه
النهار وصرير الجنادب الذي لا يتعشى غير الظلمة ولا يتحس في اناسيده
لها الا اذا سكنت الليل من شدة الحر منصتاً . وكانت ترى بين الادغال وفي
جوانب الربى اقساماً من مجاري المياه تتلاها كأنها سيوف وحرا با متشققتها
والعبيد السود ليدفعوا عنها بلية مقبلة . نظرت الى السماء فرأت النجوم تهتز
خفياً كأنها دراعم في يد بخيل أو ازاهر من النيلوفر في بحيرات يداعبها النسيم
شربت مريم كأساً من يد الليل فزادتها ارقاً وغماً . نظرت من شباكها
في وجه هذا الليل الاسود وفي عيونه المتعددة البيضاء الصفراء فهلما جموده
وسكونه وارقتها منه تلك اليد الممدودة تحمل كأساً اخرى — كأس الذكرى
والأبسى . وكأنها سمعت تنهاته وهو واقف امامها حزياً مثلها يقول —
تعال احملك الى بلاد النسيان . تعالي استقيك في بيتي غير هذه الكأس — في
بيتي عند باب الشمس

أحست مريم بشيء يشتمل في فؤادها ، بل كادت تسمع فيه تأجيج
النيران . ففتفت صارخة — ليت شعلته من الجحيم تحرق جسدي . جسدي
هذا الذي تضمن به نفسي علي .

وداحت الى الباب فاقفلته . ثم عادت تفكر بما جرى لها في فترة من الزمان قصيرة وبها صادفته من اسباب السعادة التي تسعد أية فتاة في غير حالها .

— لقيت ابني بعد ان ظننته ميتاً . لقيت ابني فاذا هو اب محب حنون رقيق الشعور كريم السجايا عظيم الخلق . وعاد من قطف زهرة حبي يستر حيلي مستغفراً فاعتنق ذنبي وتزوج عاري . ارى حولي ابادي لا تتحرك في غير خدمتي . اسمع حولي اصواتاً لا تردد غير كلمات الحب والمعروف والمعطف والحنان . اقس جبرائيل ينمرفي باحسانه . والذي يدهشني بمعطفه وحنانه . عارف يحزني برونه وشهامته ووفائه . وولدي ولدي ! آء من ثبات صوته وازاهر ابتسامه وضياء نظراته . لولاها لكنت سعيدة . لمسكت نفسي الى الليل يحملني الى عالم النسيان يدفني في قلب فللماته . نعم نعم . بنوا لي هيكلاً من ازاهر السعادة قدخلته فاذا هو خربة تصفر فيها الرياح . آء ثم اواء . ما اجملك ، ايام الصبوة ! ايام السذاجة . ما ابدالك ! يوم كنا تعطف زهرة الاقحوان فتعد بتلاتها موءنين بما تقول واثقين بما تحكم كأنها صوت من السماء . واليوم اليوم ؟ ان اصوات السماء المتجسدة حباً واحساناً لنسمع على آذان منا صماء وقلوب مستحجرة . ربي ما اجمل جسد الحب ، وما اقبح نفسه ! ما ايهجه في عيني ، وما اكرهه في فؤادي ! ما اجمل الفضيلة بعيدة وما اقبحها قريبة ! تنادينا من العلا فننصت اليها ونجيبها ونسعى اليها طاقنا . ثم لمسننا بيدها المعناة بعناء الجميل فننفر منها هارين .

وسعت اذ ذلك بومة تمنق فاستنكرت صوتها ونهضت عن الكرسي



الصور يشون

الورد من الجنة

مذمورة . فجلست على الديوان قرب السرير تمسح العرق المتصبب من جبينها وزوجتيها وصدرها فتمرت بالذخيرة المعلقة في عنقها فجعلت تقبلها مناجية امها وذكرت الليلة التي حلمت ذلك الحلم فسمعت امها تقول لها - اخرجي من القاهرة

- خرجت من القاهرة التي فزت فيها وسقطت فيها . وها انا في محيط من السعادة اسمع اصوات الحياة - حياة الفن ، حياة الجهاد ، حياة المجد ، حياة الشقاء ، فأود ان اليها . امي ، امي ! انت الوحيدة التي لا يضير البعد ولا القرب حبها ولا الموت ولا الحياة . ليتك الان الى جانبي اشعر بلمس يدك واسمع صوت حناك اللذيذ .

وقفت امام الشباك كأنها تنادي امها . فسمعت زوجها يطرق الباب فلم تفتح . فظننا عارف نائمة وعاد الى غرفته . ولكن مريم حاولت ان تنام فحال العردون رغبتها فخرجت من غرفتها الى الفتاة تمشي حافية على البلاط . فسرت في رجلها الى قلبها نفحات باردة انعشتها . ثم تحرك الليل فهب نسيبه فبرد جسمها المحترق وحفف العرق المتصبب منه ولا مست نفحات السحر جنينها فاخذها النعاس .

دخلت غرفتها ونامت ساعة فايثظنها نوبة من السعال شديدة اقامتها فجأة من سريرها . فسمعها عارفة تسعل فتنهض من فراشه مسرعا وجاء يجلس شعبة مضينة . فتح الباب ودنا من مريم يسند رأسها وهي تسعل فاحس برعشة غريبة مضنكة اذ لامست يده شعرها المبلل بالعرق البارد . وجهه

الدم في عروقه حين رأى الدم في الطشت امامه . فمرّت في مخيلته كالبرق،
صورة عمه القسيس وسمع صدى لعنات ردها في قلبه
عادت مريم الى «ربرها فجلّس عارف على كرسى الى جانبها يربط
يديها ويؤاسيها

— اتركني يا عارف . لا بأس عليّ وحدي . رح نم يا اخي . رح نم .
اعطني الابريق قبل ان تتركني . وملعقة من تلك الفينة . سلمت يدك .
اتركني الان . واقفل الباب .

— الفصل الرابع والعشرون —

كان القس جبرائيل مشغولاً بفحص اوراق له قديمة حيثما دخل عليه
القس بولس والتقى بادر في وجهه . فحياه يسأله عن حاله — ومالي اراش
تضطرب البال ؟

— هل أخطأت في ما فعلت ؟

— لم افهم ما تريد ؟

— هل أخطأت في جبري ان مريم بنتي ؟

فعمد القس جبرائيل الى اوراقه يقلبها وهو يقول دون ان ينظر الى اخيه
الراهب — وهل انت متناهب بما تظنه حقاً ؟

ثم دفع اليه تلك الورقة التي لقيها عند حمامات طبريا لما كان حالك
واحتفظ بها . فقرأ ما فيها القس يونس مدهوشاً وقد علم انها من اوراقه -
من اوراقه ، وبخط يده

- فيها جواب على سوءالك .

- نعم . نعم . وفيها ما هو أرسخ بنفسي من التعاليم الدينية والادبية .
هذا يا قس جبرائيل من اوراقي . أنا كتبتها . وحق ما كتبت "لولاك يا رب
لمن يعترف المجرم الاثيم " « الاعتراف مرهم النفس » حق هذا . حق ما
كتبت . وهذا ابشر . وبهذا انا عامل . ولكنني احس من نفسي الآن وهذا
فاعذرني اذا لجأت اليك . العلم لا يتفع في الشدات نفع نعمة من نفس سامية
او شجرة عزاء . وتشجيع من ذي خلق مجيد عظيم . فلا تضن علي باليسير
من كثير . افي متيقن يا قس جبرائيل ان ايامي ستكون كلها سوداء اذا
قضيتها بعيداً من بنتي . واذا أقمت معها او قريبا أكون عليها وعلى زوجها
منشأ عار دائم وبلاء مستمر . انا معذب بين واجبين - واجب بشري وواجب
الهي . بنتي احبها ولا اطيع وحياء الله فراقها . ولما جهرت بالحقيقة أمام
عارف زلطني ببصره كأن يرميني بافظع الاتام . طعنني طعنة ادمت فؤادي
كسرت نفسي . فعلمت آسفا انه من المستحيل ان ارى ابنتي بعد ان تنتقل
الى بيته

- سترها هنا . متحجى . مريم من حين الى حين في فصل الشتاء لتنفسي

عندنا بضعة اسابيع .

— ولكنها لا تقويم وزوجها بلائي

— كلام النساء . فانها للنساء حين تشفى من مرضها وتنساني . فتصرف
عنك وعني الى زوجها وولدها .

— وهل تظنها تشفى من ذا المرض . افي لاخشي عليها منه . ولا احب
ان افارقها ما زالت مريضة . أسفت لجبري المبسر . ليتني لم افعل
— ان ما فعلت حق . وقد تكرن واهيا في ما تظنه بهارف . فهو كريم
الأخلاق شريف النفس .

— لا انكر ذلك . ولكنه لا يطيق ان يرى في بيته الراهب الذي هو
والد زوجته . ولقد طالعت ذلك في عينيه . ولا اوم عليه . على افي اظن انه
يساق الى ما فعل بما تقول انت يا ابني . لا تسيء فبسي . اظنه وزوجته
ينجذبان اليك مطيعان لك ، عاملان رغم ارادتهما بمشيتك . ولا اظنهما
بميشان سعيدين . اذا شفيت البنت من مرضها .

— يا قس بولص . انت اطول مني باعاً في العلم والفلسفة والآداب .
ولكن نفسي ترى ما لا يراه علمك . انا رجل الله يا قس بولص من عمل
بحق الله . واقبل شاكراً مستسلماً كل نتائج وعواقبه . وحق الله ما تم
عندنا البارح . وحق الله ان تعيش صادقين مخلصين وان عشنا نعيشين بانسين
— وانا اليوم كسير القلب . كسير النفس . بل انا اليوم اشد الناس
برأساً وبلاءً . بنتي . بنتي . حرمت رويتها عشرين سنة ولم انسها يوماً
واحداً . واليوم وقد حقق الله بقيتي القصوى بدماء علي عبده . أيمحني

الله نعمة فيحرم منها الانسان ؟ لا وحياة الله لا . سأقسم قربها ولو مشكراً .
سأزورها ولو شحاذاً

— لو كنت خامل الذكر لاستطعت ذلك . ولكنك معروف مشهور
حيث سوت وحيث اقمعت . والجرائد اليوم تلجج بذكرك . واسقاء . اقراء
ما كتبته عن غصن البان واصحابها الرهايين . قد وصلتني هذه الجرائد اليوم
طالع انفس بولص مقالة في احداها وتهنئ ياطم خديه ومنكبيه .
« قد قن انفس بولص عمون الواقظ الشهير بنصن البان الراقصة وفر
هارباً واياها » هذه الكلمات في الجريدة سملت عينيه ونوقت احشاءه —
رحمك ربي ! رحمك ربي ! ان بلاليا ابوب كلها لو بليت بها لاختف علي
من هذه البلية . ساطلمهم على الحقيقة . ساطلمهم على الحقيقة . نعم نعم من
اسر سريرة ألبه الله رداها . ليعلم العالم اذا بدخيلتي . بسري . بدنيي
بعمري .

وعند الى القلم والورق يكتب كتاباً عمومياً الى جرائد القاهرة يقول
فيه ان غصن البان بل مريم الناصرية هي ابنته من لجمه ودمه . وشخص
تلك الساعة الى طبريا فسلم الكتاب الى مدير البريد هناك فنشئت بعض كبرياء .
وعاد الى البيت في التوبر ماشياً بجناز في طريق جميلة تفلوق الربى الى
جانب البحيرة متغلغلة في البسائين منسابة في الحقول . فدخل المجدل
والشمس تميل الى المغيب وجلس اذ وصل الى تلحوم يستريح . فشاهد في
خرائب تلك البلد ما رسمته الشمس في الخلفا من الاطلال والاشوا .

المتقطعة . فقال لي نفسه - وما شبه الدين اليوم والبر والتموى بهذه الخرائب
 المقدسة وما يتخللها من نور زائل وظل يمين الى الزوال . وكل ينكر
 الشمس ويقن ذراعاً من النور نور الله الازلي الابدی . وانت ابتها الشمس
 بل انت ايها السيد المسيح محبوب سناؤك . مشحوب بهاوك . الويل لك
 يا كفرناحوم . الويل لك يا بيت صيدا . يا كفرناحوم مصر . يا كفرناحوم
 فرسا . الويل ثم الويل لك . بل الويل ثم الويل لك لكتبه هذا الجليل وفريسي
 هذا الزمان . وانا منهم . انا القس بولص عمون - انا ايلياس البلان . منهم
 اقامت بينهم خمس عشرة سنة . اردد رطاناتهم . وازين خزعبلائهم . واسلك
 مسالكهم . عابداً تراويقهم . متناهيأ في سبيل معبوداتهم . بلى . بلى .
 أفلم يرقني رقص غصن البان فحملت عليه ؟ أو كم اقل في نفسي ليس في
 ذا الرقص ما يفسد الاخلاق ويخل بالاداب ثم تدوت به من على منبري ؟
 قريباً . انحسرت نبيل الى تلك الفتاة وفنها فلعلت الاثنين لان التقليد كان
 مستعبداً نفسي والحبث مالكا معتولي . ارحمني يا الله حسب رحمتك وحسب
 كثرة رافتك امح معاصي ومهما كان من امري وامر بنتي فان خناني الابوي
 اللهم خناتك . وما حيي اللهم الا ذرة من حبك .

صلى القس بولص في خرائب كفرناحوم صلاة المساء وعاد الى البيت
 بناحي نفسه ويقول - الرقي الحقيقي والدين الحقيقي والاداب الحقيقية
 انما هي في خروجنا من انفسنا حين يتهدم هيكلها وتغيب شمسها . حين تمسي
 بلى . بلى . ولماذا حبل بياني على ما اقره وجناني ؟ لاني ولا مشاحة كنت .

كالطفل العارس في الغور الدامس • حين تمسي مثل كفرناحوم •
 نام تلك الليلة وفكرة جديدة تشرق في نفسه • وفي صباح اليوم الثاني
 اخبره عارف بما قاسته مريم ولامه على مجيئهم بها الى الغور • فقال القيس
 يوليس - والاحذر بك ان تلم عمك

- عمي ؟ لا ادري ما يصنع عمي • اعماله تحير العقول •
 ثم جاءت مريم تقبل يد ابيها وتقول - سنسافر اليوم • هذه الساعة •
 أأنت متأهباً يا ابي ؟

- لا يا بنتي • لا يمكنني ان اسافر واياكم • ولا ان اقيم في المدينة معكم
 ولكنني سارورك من حين الى حين •

فصاحت مريم وقد اغرورقت عينها • أتتهجرفي ابي ؟ أتتهجرفي لي شدتي
 - ولكن زوجك يا بنتي خير رفيق وخير اب لك -

- لا وحياء الله ! لا اسافر بلالك • ساقى هنا • ساقيم واياك وولدي
 حيث نقيم • وسأخدمك واكون لك ابنة محبة طائعة لا يهملها في العالم
 غير ابنها وابيها •

- ولكنك في حالة تنضي عليك بشورة الطبيب وتنضي علينا بخدمتك
 والاعتناء بك •

- ولماذا تتركني اذا • دخليك ابي • تعال معنا •
 فقال عارف معقياً بلهجة باردة على كلام مريم
 - تعال يا ابي معنا • تعال وبعي تقيمان في البيت عندنا على الرحب

والسمة . وليس ما بوجب عليك ان تطلع الناس على تخيلة امرك
فقال القيس والنار تحترق في نظريه — ليس ما بوجب علي الصدق
والاخلاص ؟ انت شاب يا ابني تبسم للحياة فتبسم للحياة لك . ولا تدرك
ما في اعماقها من البؤس والشقاء . اطلعك على سري فازدريني ولا حق
عليك . ولست انا لصاً ولست نبياً . فاسلبك راحتك وانذرك بما قد يكون
من امرك . كشفت لك سري لاني لا اريد ان اخذك فتخدع نفسك وتخدع
زوجك . فهل تنكرني الان فتخدع الناس وتخدع الله ؟ سأبقى بعيداً منك
واذا انكرني انا عمك والد امرأتك فلا احرك ساكناً في تكذيبك . اعمل
ما نشأ وما تظمن له نفسك ونفس زوجك .

— لا تظمن نفسي يا ابني الا بترك مني . والذي العزى لا تهجرني
بعد ان لقيتني . هذه ذخيرة امي على صدري استخلفك بها ان تسافر واياها
وتقيم عندنا . واذا كان عارف لا يريد ذلك فانا افضل الاقامة واياك في
هذه البرية . فاموت بين يديك سميدة . نعم . نعم . افضل ان اموت بترك
علي ان امش بعيداً منك .

وجاء اذ ذاك القس جبرائيل يقول — وهل وطنهم النفس على السفر ؟

فقال عارف نعم وقالت مريم — لا

فاصر القس جبرائيل الى القس بولص كلمة ثم قال — سافري يا بنتي
مع زوجك وولده . وبعد يومين ازورك والقس بولص في بيتك الجديد
واذا اصلقتم في لبنان نرافقكم وتقيم واياكم هناك .

- اصحیح ما تقول؟ تسافر واينا الى لبنان يا ابي • اذا تسافر من هنا
 — ذلك مستحيل • ينبغي لي ان اعود اليوم الى حيفا لقضاء بعض حاجات
 وتسافر اذا شئت من هناك بحراً
 — لیکن ذلك يا بنتي • سافري اليوم وزوجك
 — وهل تسافر واينا الى لبنان •
 — نعم • نعم •
 — وبعد يومين اشاهدك بحيفا عندنا؟ أتزورنا بعد يومين؟
 — نعم • نعم •
 — وتسافر يومئذ الى لبنان •
 — تسافر الى لبنان

- وبينا كان القس جبرائيل يتناول العشاء وضيئه ليله ذلك النهار خاطبه
 قائلاً — ما ضررك لو اقميت عند بنتك؟
 — لا يضر ذلك بي بل يضر بها وبزوجها
 — وهل انت متيقن؟ هل انت موءكد ان عمك هذا انما هو اكراماً
 لها فقط • لا تجني على هذا السوء ال • أجب نفسك • أجب ربك •
 — كل كلمة من كلماتك يا قس جبرائيل تفتح باباً من الحق للنفس
 وباباً من العذاب •
 — والعذاب في سبيل الحق عذب • وانه لمحتم علينا قبول ما جرم

السالف من اعمالنا ردوننا . القضاء لا يرد . والله سبحانه لا يتردد احكامه .
وان الحقيقة التي تظهر النفس لفوق السعادة . اي نعم . وما شأن السعادة
يا ترى اذا قابلناها بفضائل النفس السامية . بالصدق والاخلاص والبطولة
والصبر والاستشهاد في سبيل الحق . فالخلق يعلم ولا يعنى عليه . ما كان
مكتوماً سيعلم وما كان مختبئاً سيظهر . لتكمل مشيئة الله .

فقطاً القس يولص رأسه مردداً -- لتكمل مشيئة الله .

وفي صباح اليوم الثاني نهض باكراً يودع القس جبرائيل .
-- الى اين يا ابي ؟

-- الى حيفا .

فاحض القس جبرائيل رأسه قائلاً -- رافقتك السلامة .

— الفصل الخامس والعشرون —

وقفت مريم في شرفة البيت بحيفا تنظر تارة الى البحر وتارة الى جبل
الكرمل ثم تدور ببصرها ويقلبها الى فريد الواقف قربها يسألها عن البواخر
في المرفأ . البحر فالسفر فالحرية فالجهاد فالاقبال فالمجد . لقد لاحت هذه
الكلمات في جوانب نغمها كرميش البرق فانارت هنيئة ظلامها واستنوت
الخامد في منازعها .

ونظرت الى الدير على قمة الجبل المقدس فاختذتها رعدة دبت الى صدرها
فأثارت كوامن غمها . ذكرت ايامها في الدير بالناصره فصعدت الزفرات
« وذكرت يوم سافرت من هذا الشاطئ » ومدام لآمار فاعترتها هزة ايقظت
قيا رواقه الرغبات والهمات .

وحب هواء البحر فوق البساتين يحمل اليها شفا الورد والنفل والياسمين
فانفس فوادعها واحيا المائت من آمالها . فبحثت امام ولدها تصبه الى
صدرها وتقول - شفت يا حياتي - شفت يا عمري . وغداً نسافر .
غداً . غداً .

وكان زوجها وهو ينتظر قدوم الطيب جالساً على الديوان في فناء الدار
منقبض النفس مستلماً الى الافكار والهواجس - اذا كانت تفضل ان تقيم
ووالدها لم قبلت بمقد الزواج يا ترى ؟ ولكنها معذورة . المرض يذهب
بجاسن الخلق والخلق . وهذا الراهب ابوها . راهب مجنون . سيحي
غداً بيتي يقيم فيه وابنته . بكى رأسي الابنة . اما الاب ؟ فلا اعرفه ولا احب
ان اعرفه . لا والله . حسبي ما اقبلت وما قاسيت . امي ابي اهلي الناس
كلهم ينظرون الي شذراً ويضعكون مني . واذا علموا بامر الراهب يسلقونني
بالستهم تأكلني نار الشامة والسخرية . لا والله لا . اذا جاء هذا البيت بعد
الباب مقفلاً دونه . ليرجع الى ديره يستتر فيه غاره .

جاء الطيب يلهث وينفخ مستعيزاً بالله من الحر والغبار فجلس على
الديوان يستريح ونزع طربوشه بمسح العرق المتصبب من جبينه . وبعد ان

شرب كأس الشربات الذي قدم على صينية من الفضة دخل الى غرفة مريم ففحصها فحسباً بسيطاً جس نبضها . واخذ حرارتها . والتي رأسه على صدرها ثم قال - ظننت الامر خطراً يا خواجه عارف فبحثت كما ترى مسرعاً . فلا شيء . والحمد لله زرعج البال . التهاب خفيف في شعب الرئة ودرجة واحدة من الحمى .

وكتب الوصفة وسلمها الى الخادم . وجلس على الديوان يدخن بالار كيلة التي اعدت له ويشرب القهوة وبعد ان هنا عارفاً وطماناً وباحثه في القديم والحديث من اخبار الدولة والدول ودع وانصرف .

ولكن عارفاً ظل مشككاً . وبعث يستدعي الطبيب الافرنجي الشهير ليتحقق ما قاله الطبيب السوري . فعاد الخادم يقول - الحكيم يكون هنا الساعة الثامنة مساءً . والموعد في لغة افرنج الشرق وقت غير محدود . ففي الساعة التاسعة سمع ضجيج سيارة في البستان . سيارة الحكيم ! دخل حضرته والقيعة في يده . فسلم باللغة العربية التي يحسن شيئاً منها وراح تواءم يغحص المريض فحسباً دقيقاً . وضع قلم الحرارة في فيها واخذ نبضها بجبهه والساعة في يده الاخرى . ثم فحسب لسانها وقبض على لحيتته واجماً . ثم استخرج من جيبه آلة فوضعها على صدرها وظهرها يستطلع خبر رئيتها فبرز رأسه مرتاباً . ثم ضرب بقضيب من النحاس عظم ساقها وقطب جفنيه . ثم سأها ان تمد يدها وتبسط اناها فشاهد فيها اهتزازاً قليلاً فضجرت مريم وتأنفت . ولم تجب الطبيب الا على بعض سوء الا انه المتعددة .

خرج حضرة وعارف الى فناء الدار يحدّثه بامرّها وسأله سوء الذين امتنع
لها وجهه ولم يندّر ما يقول جواباً .

— مرض الست على ما يظهر مزدوج . يلزمها راحة بال وهواء نقي
وغذاء . لتفتح شبابيك غرفها ليل نهار . لتلازم سريرها بضمة ايام . وبعدئذ
اتقلها الى الجبال . جبال لبنان حيث يكثّر الصنوبر . وسأعودها بعد يومين
ودفع الى عارف الوصفات التي خطتها انامله واملاها عليه علمه الغزير .
اربع وصفات لا غير .

— لتشرب من هذا قبل الاكل ومن هذا بعده . ولتدهن من هذا .
ولتستشق من هذا .

— وهل من خطر على حياتها ؟

قبزم الحكيم شفّيته وذوى ما بين عينيه وامال برأسه مفكراً ثم قال — في
كل مرض خطر على الحياة وامل بها . والامل بشفاء الست اكبر من الخطر .
وامر عند الوداع ان تفرد الوالي الاكل والشرب بمن اوانبها . فعاد عارف
يهرّ رأسه ويقول — هذا ما توقعت . هذا ما خشيت . وخطر في باله أنا
يسأل الحكيم سوء الآ آخر فلم يلحقه في الباب . كره دولاب السيارة
وراحت تهدر خارج البستان .

وفي اليوم الثاني احست مريم بتحسن في حالها ولم تفتح واحدة من
القناني التي وصفها النطاسي الافرنجي الشهير . ونزل عارف الى مكتبه يتفقد
اشغاله . فسمع من اقوال الناس والاشاعات عن امرأته وابيها القراهب ما

الأمير السعيد ورجاله كروا من غيظهم . وعزم أن يقتل مريم إلى لبنان ريشة .

وبينا كان عازق في مكتبه جاء القس بولص وكان قد وصل ذلك اليوم
 ليتفقد ابنته . فوقف في باب البيت حينما كما وقف في ذلك الباب في شارع
 قصور النيل .

— مستحيل يا محترم ! المواجه في المكتب . والس مريضة وانطبيب
 لا يوهذن لاحد بمقابلتها .

— هذا قانون للحرية .

— لكل الناس يا محترم .

— لا بد من أن ادخل .

وهم القس بولص بالدخول فوقفه الخادم قائلاً — لا لوم على خادم
 يعمل بأمر سيده . أرجوك أن تخرج .

فصاح القس بولص به — ياو ياو ! سيدتك بتي . بتي . ألا يوهذن
 لوالد أن يرى ابنته ؟

— لو جاء السلطان اليوم ما اذنت له بالدخول .

فطأ القس بولص رأسه وانتهى واجماً فجلس تحت نخلة في البستان
 ينظر إلى البيت والنفس منه حزينة حتى الموت .

وكانت لعلفة ربيبة قريد قد سمعت ما دار من الحبش بين الخادم
 والقس فجاءت سرمة فخير سيدتها . فاشملت مريم غيرة وراحت

تنادي اباها فالتفت يا خادم في الباب .

- ومن اعطاك هذه الاوامر ؟

- الخواجا عارف يا سي

- دهنتك داعية انت والخواجا عارف .

وفخرجت الى البستان تنادي - ابي ابي ! فسارع القسيس اليها مجيباً

وجلس رايها على مجلس في الجنيينة تحت النخيل

-- ازورك هنا يا بنتي . لا ادخل البيت .

- بلى . بلى . دغيلك ابي

- وعداً ازورك يا بنتي . انا مقيم في النزول وسأظل في البلد الى

ان تشفي - وسأزورك هنا في البستان كل يوم .

- ولكن الطبيب اشار بالسفر الى لبنان

- فأسافر واياك كما وعدت .

وفي تلك الآونة جاء عارف عائداً من مكتبه فسلم على القس بولس

ولمعه في قلبه . فقالت مريم مخاطبة زوجها - أفلا تريد يا عارف ان يزورني

ابي امرك يا سيدي مطاع . امرك مطاع .

ثم ودعت اباها قائلة - سأزورك انا في النزول يا ابي . ولا اكلفك الى

ما فيه اهانتك .

ودخلت وزوجها الى البيت تصر باستانها وتحاول كظم غيظها . فلم

تتم تلك الليلة الا قليلاً .

وفي اليوم الثاني اشتدَّت وطأت الحمى عليها ، واستمرت تصعد الحرارة حتى درجة الخطر . فبعثت تستدعي اباهما إليها فجاء مسرعاً . دخل النرفة فوجد عارفاً جالساً الى جانب السرير منكساً رأسه وسمع مريم تهذي . فهنئت اذ رآته . - اي . اي . اقم عندي . قربي . لا تفارقي . ساموت . ساموت . ولكني اموت بعيدة وانت قربي . الى جانبي . لقد انشرح صدري الان . قد زالت آلامي . شفيت . شفيت . وغداً سافر الى لبنان . غداً صباحاً . انا واياك وفريد . نقيم في ظلال الصنوبر . مارقص في ظلال الصنوبر . اتلو عليك قصيدة الابنة المزيّنة البائسة . الله ما اجمل انفسهم الكمنجة . الكمنجة وحدها . وحدها . انغمسها تذيب قلبي . تطرب نفسي . سكرة الحياة ما احبها . سكرة الموت ما ابدعها - ايها الشاعر نفسي الليلة حزينة . حزينة حتى الموت - ساموت واسافر الى باريس . الى باريس . الله ما اجملك يا باريس . تموج شوارعك بالناس . بالازياء . بالآلية . بالجمال . بالفنون . ضجيج شوارعك وقهاويك مثل الاغاريد في اذني . العربات والسيارات والجماهير والبوليس في وسط الشارع رداه على كنفه وسوحياته الابيض في يده واقف . ما ألطف بوليسك يا باريس وما اعظم سطوته . وانوارك والناس في بهائها رايعين جائين كل الى جنب من يحبه وبهواه . وها قد جاء المعاز بقطيعه (١) ما ألطف تصب المعاز وطين اجراس

(١) في بعض انحاء باريس يملوف المعاز بقطيعه صباحاً وهو يمزق على الناي فيبين الحليّة من الضرع .

القطيع - جاء المعاز - حليب - حليب - عاتبي يا بنت دلوك - قصب الراعي
 في اسواق باريس - اسمعوا قصب الراعي - وغدا نسمعه في لبنان - غداً -
 غداً اموت - آه اواه - غداً اموت ولا اسمع صوت اجراس القطيع - عارف
 استغفرك هات يدك - سامحني - انا مائتة - انا مائتة - خذ يد ابني صافحه
 واستغفره - استغفره يا عارف - لله ما اعلى الصفاء وما اجمل القلوب
 الصافية - اسمعوا صوت القصب - اسمعوا صوت اجراس القطيع - سأرقص
 لكم على انعامها - سأرقص لكم رقصه الابنة الحزينة الياسة

وهبت ان تنهض من سريرها فلم تستطع - هاج الخنجران بعالمها -
 واتهكت الحمى قواها -

وجاء يومئذ النطاسي الافرنجي يعودها فوجدوها في تلك الحال فوصف
 لها الحمامات الباردة -

ثم جاء الطبيب السوري فوصف الكينا وقال مستعيفاً بالله - الحمامات
 الباردة تجهز عليها - تجهز عليها - هي نوبة حمى يا خواجه عارف وستزول
 غداً او بعد غدٍ ان شاء الله -

— الفصل السادس والمثرون —

وفي لبنان نواه للنفوس شافي • ودواء للآهوان • على ربوة بنية الإديم •
 زاهرة الجوانب • بين قمم تحتها خضراء • يعطر الصنوبر هواءها • وقمم
 فوقها بيضاء • تلجها لا يزول • في بيت هنالك يحيط الكروم به والغابات •
 ويشاهد من إحدى شرفيه الوادي ومن الأخرى البحر • أقامت مريم وابنتها
 وابودا ثلاثة أشهر مباركة • زاهرة أيامها • صافية لياليها •

وكلما وقفت في الشرفة تنظر إلى البحر بعيداً • وقد بدا في الأفق
 الغربي كسيف أزرق غامق متدل من السماء المازردية • والبواخر والقوارب
 كالطيور رسمت عليه والسوسن • كانت تجول المطامع والترعات في
 صدرها جولات تسمعها صوتاً يردد هائفاً — البحر • فالسفر • فاللمرية •
 فالجباد • فالأقبال • فالوجد !

وكلما وقفت في الشرفة الأخرى تنظر إلى الوادي العميق اقرار •
 المظالم الجوانب والأسرار • الكثير الأكناف والاضطراب • كان يخيل إليها
 أن ينهار بين تلك المظالم والرغبات وحدة مثل هذه الوحدة عظيمة مخيفة •
 فيستحوذ الكرب عليها •

ولكن صوت القصب هنالك • على تلك الربوة في الجانب الآخر من
 الوادي صوت مونس سماوي الهي • ينش قلبها • ويضطرب نفسها • فيبعث
 فيها كامن غزوها • ويحيي الجسبل من أحلامها • صرمت القصب في المساء
 وقد سكن الليل وصفا اديمه • ونلا لآل الكراكب في قبة عرشه الفخم

المهيب . انما هو حنين الجبال الى الجبال . والمشاق فيها الى العشاق . بل هو
حنين القلوب في سجونها . حنين صغار الطير في وكنائها . حنين النفس الى
سرب من النفوس . مثلها تنضم اليه فتبسط جناحيها ناشطة جذلة راغبة تقاسم
اخواتها المراء في الجهاد والضراء . صوت القصب يناديا . وبينها وبينه
وهدة عميقة مخيفة مظلمة . صوت القصب في ذلك الجبل بعيداً . صوت
القصب وراء البحار في اسواق باريس .

وفي ذات ليلة من ليالي الخريف بينا كانت رابوها ينصتان الى حنينه
المحزن المطرب المهيج . القمر وقد احيطت به النجوم البيضاء يفرش ظلالها
للالحلام وارباب الاحلام على المروج وبين الصخور وحول الينابيع نظرت
مريم الى ايها وحاطبته قائلة -

- والان وقد شقيت يا ابي علي ان اعرد الى بيتي . الى بيت نفسي .
الى بيت قلبي . الى بيت آلامي وامالي . ولكن عارفاً بجيشنا الاسبوع القادم
ليعيدني الى بيته . هيهات . هيهات ! ابي . حبيبي . ولي قلبي . لقد شقيت
بفضل الله وفضل هذه الجبال المقدسة نسا كشف الستار اذاً عن مكنونات
صدري . ابي . ان في قلبي ما لا استطع ان اشارك به انساناً . ولا يمكنني
ان احب رجلاً الا اذا محضته حيي . وقد كنت اظن ان القس جبرائيل
يؤذلف الي ويخادعني ولكنه علمني الا اخادع ولا احابي . حتي ان اضل
بما يؤح به الي صميري . بما يطالبني به فواددي . بما يفرضه علي محض حيي
هذا حق . ولقد طالما قال القس جبرائيل - انما الحق فوق السعادة . فاذا

اقميت وزوجي وفي قلبي ما لا استطيع ان اشاركه به . في قلبي . ايسكب
 الحب عنه . اكون مخادعة . خائنة . ناهيك بيوسي وغشي . ويوسه
 من جراء ذلك وغمه . فلا سعادة في مثل ذا العمل ولا حتى . احلف بالله
 يا ابي اني اذا اقميت واياه لا يقيم واباه قلبي . ولا جز . صغير منه . وما الفرق بين
 البني . والزوجة التي تب زوجها جسدها وتمسك عنه قلبها بل هناك فرق عظيم
 يظهر في الخداع والحيانة والنفاق . وعندي ان المرأة التي تقيم وزوجها
 على هذه الحال انما هي اشر البواغي واخبثهن لقد تم القس جبرائيل
 قصده بي . ليهنا بذلك . والان قد ابعدي الله منه ابوح لك بسري بل بسبب
 حزني وغمي لما كنت في طبريا . فقد كنت اشعر وانا في ظل القس جبرائيل
 انني آله صماء . يعالمني كيف شاء . لا رغبة لي ولا رأي . ولا عزم . ولا
 ارادة . كنت اشعر انني عائشة مائة . افرقت نفسي من فضائل الحياة
 كلها فاملاها تموزة علي كروبا وحزنا وغما . واما الان فانت رفيقي .
 انت ابي . انت ولي قلبي . وانت ايضا معذب في شئ . وانتك . تجاذبك الحرية
 وتجاذبك الاسر . اذا اقميت في هذه البلاد فاما ان تنبذ الثوب واما ان تعيش
 عبودا . وفي كل حال تعيش مغموما مجزونا مدحورا مذموما . وهب
 انك اقميت في الرهبانية مكرما معززا فهل تسعد ابي في بعدك مني ؟ الا وان
 كنت في سبع سموات الاقبال والمجد لا اسعد ولا اتعم في بعدي منك .
 ابي ذنوبنا تعلمنا الحق . التجارب تأدبنا . وانا يفضلها الان اميرة نفسي .
 ارادتي في يدي . وقلبي بين جنبي وصان عن الابتغال . حرة . غير مقيدة .

ناشطة • عازمة • طامحة • وسعود منتغية حسام النفس الى ضمائر الحياة •
 وانت ابي الى جانبي • وفريد على صدري • الحرية يا ابي مقدسة • حرية
 المرأة • وحرية الولد • وحرية الرجل • حرية فريد وحريةك وحريةتي • حرية
 فريد في ظل امه • وحريةك في ظل علمك ووجدانك • وحريةتي انا في ظل
 ابي • نعم • نعم • سيظهر فريد حباتي • وسيظهر فني وسأسمى لك وله
 ونفسي صوت القصب يناديني ويناديك • ينادينا كلنا • صوت
 القصب هناك • هنالك • في ذاك الجبل • بل وراء قامات البحار • قد كانت
 نفسي كالزهر مجبوسة في الشرقة فاصبحت الان فرائس حرة • ونسك ابي
 كذلك • نفسك كذلك • سلبني اذا صوت القصب • صوت الحياة • صوت
 الحرية • صوت الحق • صوت القصب يناديني ويناديك ابي • صوت القصب
 ينادينا كلنا •

فقال ابوها — كنت اهدي الناس يا بنتي وانت اليوم تهديني • بارك
 الله فيك • بارك الله فيك •

وفي اليوم التالي كتبت مريم كتاباً الى الخواجا عارف مبارك بحيفا
 تكشف له سريرتها وتعلمه بقصدها • وكتاباً آخر الى القس جبرائيل مبارك
 شكر له جميل صنعه واحسانه وتخبره انها متبعة في ما هي فاعلة الحق الذي
 علمها اياه • الحق لا تملو حتى السعادة عليه •

وسافرت وابوها وابنها من سوريا بجمع نور الشمس

(تمت)

ملوك اخوان

— (معملنا بفرنسا) —

اننا نصنع في معملنا بفرنسا اجمل واحداث ما يستتبط فيها من كلوتيه
وفلورنتين وجميع انواع الخروجة شغل اليد

— (معملنا في فينسيا) —

اما معملنا في فينسيا فنعمل فيه ادق وافخر البضائع من القبايل والغنيس
والمطرزات وجميع ما يصدر في ايطاليا من خرج او نظير لاجل المفروشات
— (معملنا في مدريد) —

وقد اشتهر معملنا في مدريد بجودة المطرزات المديرا التي نشتهلها به .
وكلها نقشات من جميع الاشكال .

ولا شك ان اسعارنا تناسب عملائنا اكثر من اسعار سوانا لان بضائعنا
تباع رأساً من محلاتنا للتجار محالينا وبذلك توفر الاضافات على الاسعار
التي يتقاضاها غيرنا .

محلنا الرئيسي في نيويورك ؛ كما ترى في العنوان ادناه ، وله فرع واحد
في كندا عنوانه

MALLOUK BROTHERS

47-49 WEST STREET

NEW YORK

الزيتون في كايغورنيا

ذوقوا واحكموا

ليس من ينكر كثرة الصنوبات التي تضادها من جراء الحرب الاوربية
بانقطاع المواد الغذائية السورية حتى هذه البلاد الاميركية . ولما كنا قد
اعتدنا في السابق ان نحصل على كل اصناف السمانة العربية من سوريا لم
يعد نبالي بالاهتمام لايجادها هنا مع ما كنا نتحصله من الصنوبات والمصارفات
في مسألة الشحن . على انه وقد حالت الظروف في هذه الايام دون الحصول
على متبنياتنا وسدت الطرق من كل جانب في وجوهنا فتوهم أبناء الوطن
ان لا لذة تعادل لذة الواردات الوطنية وجادنا غيب الامتحنات والاهتمامات
التي نجربها دائماً وحجاً براحة وخدمة عملائنا الكرام طريقاً لارضائهم فقد ذهب
احدنا الى كاليفورنيا حيث اهتم بضمانة كروم الزيتون هناك وصرنا نستورده
الى محلنا الخاص فنخرج من انواعه زيتوناً اسود ومرصوماً بذهاب ومن كان
في شك فما عليه الا التجربة كما وانه عندنا جميع انواع السمانة السورية وسائر
المشروبات الروحية وهذا عنواننا .

تامر كنعان معلوف وشركاه

T. K. MALOUF & Co.

79 Washington St.

New York

صيدلية شركة فلسطين

جربوا الشربة العجيبة للرجال والنساء والاطفال اشتهرت بلذتها وقوتها العريب	١٥	عنت
حبوب الدكتور فتديك مصهلة مليئة بزيت وجع الرأس والدوخة	٢٥	
حبوب خصوصية لتقوية الاجسام الضعيفة	٥٠٠	
الشربة الهندية للودة الجديدة مكفولة	٢٠٠	
البودرا التي تزيل الشعر من الجسم والمكفولة من كل ضرر	٢٥	
صبغة الشعر الخالية من حمر جهنم والمكفولة انها تعطي الالوان المطلوبة	٥٠	
من أي لون شئت		
البودرا الشهيرة الخالية من كل غش والتي تستعمل لهنسين الجنس	٢٥	
اللطيف والجنس النسيطة وهي دواء شافر لمرق الرجلين		

لدينا سائر اصناف الروائح الشهيرة على تعدادها
لا تشعجوا بالانتقام اذا قلنا اكتشفنا دواء جديداً لنمو الشعر سينموا الرأس وتقويه وليس
تلك الذين يريدون اقاء شعرهم الا ان يجربوا دواءنا هذا العجيب فيحققوا صدق ما نقول والتجربة
خير برهان .

عندنا دواء مشهور يزيل الشمس والكلف من الوجه .
ومن المرطبات لاجل العيف جميع المشروبات مع ايس كريم امبركاني وايس حكرام
سوري مع الفسق .
مدير الشركة

فلاديمير حليبي

PALESTINE DRUG CO.

28 RECTOR STREET

NEW YORK

TELEPHONE: { ٥١١٨
4824
٥٥٥٥ } RECTOR

مركز ليو سطة

حديث وجيز

أأنت من مدخني السيكارات ؟
إذا أجبت " بنعم " فهناك سوءالآ آخر .
ما هو النوع الذي تدخنه ؟ - وقيل ان نسمح جوابك نألك ان
نسمح لنا ان نقول
إذا كنت تدخن السيكارات البرصونية فلا حاجة لشرحنا لك عنها ،
وان كنت تدخن غيرها فجربها وقابل بينها وبين سواها
السيكارات البرصونية مصنوعة من التبغ التركي الخالي من الفس
انها من اقدم واشهر انواع السيكارات المعروفة ، ومدخنوها يشهدون لها
بجودة وسلاسة طعم دخانها .
وانك تحصل عليها متى شئت فاطلبها تجددها لديك حالا .

A. N Barson & Co.

40 West Street

New York

بدران اخوان

والمجوم الروسي

ان روسيا في هذه الحرب العظمى قد برهنت على قوة واقتدار كائنا
كانت في جسمها الواسع وشعبها الامين . ولا غرو ان امة اخرجت من
احسانها رجالاً عظاماً منهم القواد سوفوروف وكونوزوف ومنشيكوف
وسكوبيليف والفراندوق تولا وبروسيلوف والفلاسفة تولستوي وسولوفيفوف
وباكوتين والكتبة المثقنين تورغينيف ودوستويفسكي وتشيفوف وغوشل
والمصلحين المظالم بطرس الاكبر وسبيرانسكي وكاترينا الثانية وغيرهم من
المشاهير لمي امة جديرة بان تبدو منها القوة الطاحنة

ونحن قد اظهرنا في عالم التجارة من الثبات والقوة ما جعلنا ان ندحر
اعظم الصعوبات . وبذلك قد برهنا على اقتدارنا التجاري كما برهنت روسيا
على اقتدارها الحربي . ونحن مستعدون ان نلبي طلب كل عميل ونرضيه
كما ان روسيا مستعدة ان تكتسح بلاد اعداءها ولو بقيت رضى . اما بضائعنا
المذخورة فهي من قمصان النرم والانقلاب شميز والكورست كغفر تطرير اليد
والوست والكحونا على اختلاف انواعها والملبوسات النسائية كافة

BADRAN & ROS.

87 Greenwich Street

New York

الى تجار اميركا الجنوبيين

— محل ميخائيل عريضة في نيويورك —

قد وسع دائرة اثنائه المعروفة واصبح يتعاملون تصدير البضائع الاميركية
من جميع اصنافها الى سائر الانحاء

وهو مستعد

أن يقوم بخدمة كل المحال التجارية السورية في اميركا الجنوبية
والوسطى وجرائرها استعداداً يرضي اصحاب البيوت الكبيرة والصغيرة التجارية
مقدرة هذا المحل المالية ،

وخبرته بالسوق الحالية ،

ومعرفته الاصناف المرغوبة ،

وتسوقه البضائع من معاملها رأساً ،

جعلته ان يحوز ثقة كثير من المحال التجارية الكبرى في اميركا
الجنوبية في وقت قصير

فاكتب اليه

مستلماً — أو مشيراً — أو طالباً — أو مجرباً .

ولك الخيار بعد ذلك ان تعاداه او تعامل سواء

MICHAEL N. ARIDA

118 W. 22nd Street

New York

محل حداد وعطيه

اذا كنت بحاجة الى ورق للنف أو خيطان أو غلب كرتون أو اكياس
او اي جنس كان من الورق وما يصنع منه . او اذا كنت بحاجة الى ورق
مكاتب ومفاتيح ودفاتر وكل لزوم المحلات التجارية خايرنا اولاً ونحن
نرضيك بالاسعار والمعاملة والاجناس الجيدة . كل هذه الاصناف موجودة
عندنا بكميات كبيرة دائماً ومن كل القياسات .

كذلك نعلن الذين خارج الولايات المتحدة اننا نشحن الورق الى اي
جهة كانت بكميات كبيرة او صغيرة وخصوصاً الى اميركا الوسطى
والجنوبية ومصر . اطلبوا الاسعار مع كافة التعليمات .

HADDAD & ATEYEH

54-56 Washington St.

New York City

— اعلان مفيد —

السيدة العاذقة ملكه نفس هي قابلة رسمية حائزة على الشهادة من حكومة
نيويورك في فن التوليد . وقد مارست عملها بنجاح مدة سنوات طويلة
اكتسبت بها اقبال الجمهور ورضاهم .

وهي تنشر هذا الاعلان لتعلم الجمهور انها مستعدة لتلبية كل سيدة
ليست قادرة على الدفع . وهذا عنوانها .

— (ملكه نفس) —